THAT HOUSE NEXT DOOR
Telegram:@mbooks90
اربع قصص
طويلة من
الرعب والإثارة
ذلك
المنزل
المجاور
لبنى حماد

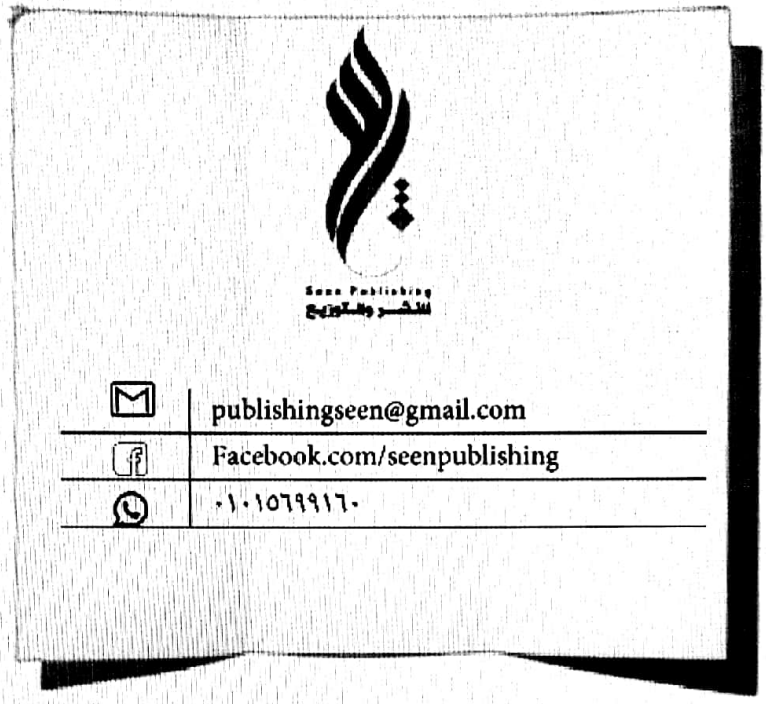

Seen Publishing
للنشر والتوزيع

publishingseen@gmail.com
Facebook.com/seenpublishing
٠١٠١٥٦٩٩١٦٠


| | |
|---|---|
| اسم الكتاب: | ذلك المنزل المجاور |
| الكاتب: | لبنى حماد |
| الطبعة الأولى: | ٢٠٢٤ |
| تصميم الغلاف: | وحيد محمد |
| المراجعة اللغوية والإخراج الداخلي: | Dr. Right Literary Agency |
| المدير العام: | عمرو النجار. |
| رقم الإيداع: | 2024/3630 |
| الترقيم الدولي: | 978-977-8991-48-9 |


**جميع الحقوق محفوظة للناشر©**

وأي اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يُعرِّض صاحبه للمُساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.

# مقدمة لا داعي لها

عندما انتهيت من هذا الكتاب وأرسلته لدار النشر، سألني أحد الأشخاص ذوي الشأن الرفيع في الدار بحنكة -لا أعلم من هو لكنه شخص محنك بالتأكيد-:

-جميل جميل، لكن أين المقدمة؟

وهو سؤال وجودي مهم، لم يخطر ببالي وأنا أضغط زر إرسال الملف الخاص بالكتاب. في الواقع أنا لم أفكر في أي مقدمة، ربما لأنني لا أنتظر الكثير من النجاح لهذا العمل، إنه العمل الثاني لي، ولا يمت للأدب الساخر بصلة على عكس الكتاب الأول. لذلك في الغالب، لن يقرؤه الكثيرون، ربما فقط بعض الأصدقاء المتحمسين والأقارب الفضوليين.

إذن، لن يكون هناك غرباء لأضع مثل هذا التكليف، إن الأمر أبسط من ذلك بكثير.

مع ذلك يصرون !

امممم، فليكن..

سأحدثكم اليوم عن حظ المبتدئين.

هل تعلمون هذه اللحظة، عندما يبتسم لك القدر رغم كونك أحمق؟

ذلك الفتى حديث التخرج الذي تم تعيينه حديثًا وسط عشرات الزملاء القدامى المخضرمين، لا خبرات لديه ولا مؤهلات، إنه فقط غلبان و"على الله حكايته" كما يقولون. لكنه ألقى بدعابة ما، راقت للمدير العام، ثم صار الفتى المفضل للمدير !

هذا ما يسمى بحظ المبتدئين، وهذا ما أراهن عليه في هذا العمل.

لقد بدأت الكتابة في الأدب الساخر وهو فرع ليس هينًا بالمرة، واجتيازه مثل

اجتياز حقل ألغام شديد الحساسية، لكنني نجحت نجاحًا لابأس به أبدًا، ثم قفزت من الأدب الساخر لأقتحم الفرع الأصعب من وجهة نظري، أدب الرعب. وحقل الرعب هو الأوسع والأكثر خصوبة على الإطلاق، إنك تتجول هناك حائرًا، أي حقل سترتاد؟

فهناك على سبيل المثال، مزرعة مثمرة الأشجار ومتنوعة الفواكه، تمتد على مرمى البصر، كتب أحدهم على سورها بخطٍ مزخرف جميل "مزرعة د. أحمد خالد توفيق" .

يجاورها مزرعة أخرى تتدلى ثمارها الناضجة من أشجارها خارج الأسوار فيسيل لعاب القراء لها، وهذه المزرعة هي ملك لـ "أحمد مراد".

أما أنا وقد بدأت أولى خطواتي في حقل الرعب على استحياء، أتحسس طريقي وسط العمالقة، لا ناقة لي ولا جمل، فقد أعطوني قطعة من الأرض مساحتها لا تتعدى المتر المربع لأقوم باستصلاحها وزراعة بعض البذور مع كثير من الوعود بمنحى مساحة أكبر إذا ما طابت ثماري واستساغها القراء.

Telegram:@mbooks90

لذلك أسأل الله التوفيق في أولى خطواتي، وأتمنى أن يسعفني حظ المبتدئين مرة أخرى.

لقد انتهت مقدمتي..

والآن أترككم مع مجموعة قصصية أشعر أنها قد تنال إعجابكم.

ها؟ ماذا؟ لا تجدون علاقة بين المقدمة وعنوان العمل؟ ذلك لأنهما غير مترابطين، ظننت هذا واضحًا؟

لقد كتبت المقدمة على عجل، أرادوا مني مقدمة والكثير من الاسترسال، وها أنا قد استرسلت وثرثرت كثيرًا. فليتركوني وشأني إذن، ويبدؤوا في القراءة.

**المؤلفة.**

# القصة الأولى

## سالي

**"لقد كان الخطر يتربص بكِ طوال الوقت، أنتِ والصبية الحمقى، لكنهم لم يعرفوا، أو ربما قصّ عليهم آبائهم قصصًا مبهمة عن ما يحدث في هذه المنطقة ليلًا، لكنهم لم يصدقوا!"**

تنهدت سالي وهي تصعد ذلك المنحدر، توقفت قليلًا وأخرجت زجاجة المياه من حقيبتها ثم تجرعت القليل، ومسحت قطرات العرق التي تنحدر على رقبتها الدقيقة، ثم سكبت القليل من المياه على عنقها لتقلل من أثر الرطوبة المرتفعة، الحرارة تكاد تصل للثلاثين رغم غروب الشمس. لطالما كان طقس نيفادا من المناطق الأكثر حرارة في الولايات.

التفتت خلفها، حسنًا، لقد مضت كثيرًا وابتعدت عن المناطق المأهولة بمسافة لا بأس بها أبدًا، تستطيع أن ترى أنوار الطريق الرئيسي تتلألأ بعيدًا كالنجوم الصغيرة، بينما يلتوي الطريق الفرعي الذي تمشي به بحركات دائرية حتى يصل إلى النقطة التي وصلت إليها الآن.

يبدو أنه لا سيارات تمرّ من هنا، فقط الكثيرمن الكثبان الرملية هنا وهناك، وبعض المناطق بها تجمعات شجرية غير مفهومة، ثم هناك أعمدة الإنارة الشاحبة التي انطفأ بعضها.

ثمة محطة وقود بائسة للغاية، يبدو أنها لم تستقبل الزائرين منذ دهر، ويعمل بها صبيّان مراهقان، نظرا لسالي التي تمشي وحدها ليلًا بتعجب وصاح أحدهم بشيء ما لكنها تظاهرت بالصمم وأكملت طريقها مسرعة حتى ابتعدت عنهما.

السماء تتلون بدرجات ألوان خرافية، إنها لحظة اختفاء الشمس في مملكتها التي تقع في العالم الآخر تاركة وراءها خيوطًا أرجوانية تمتزج بدرجات الأزرق الخلابة لترسم لوحة لا يمكن تخيل جمالها.

وحيدة سالي، لطالما كانت وحيدة، لها مزاج ماسوشي غريب يجعلها تتلذذ بالمخاطر، تلك التي ترفع نسبة الأدرينالين بالدماء وتسبب رجفة أسفل العنق، تبحث عن مغامرة جديدة في كل مكان، تجد قدماها تأخذها إلى الأزقة الأكثر خطورة في نيويورك ليلًا، والتي لا يجرؤ أكثر الرجال شجاعة على التواجد فيها نهارًا بحثًا عن لذة الخطر بالمجهر، وأينما وجدت المتاعب وجدت سالي.

هرشت رأسها بعشوائية ووضعت حقيبة ظهرها الثقيلة أرضًا، والتي تحتوي على كل وسائل الدفاع عن النفس لفتاة في مثل سنها، صاعق كهربائي، ميدالية صغيرة، بخاخ الفلفل، فهي رغم روحها المغامرة، غير مستعدة أن تفقد حياتها في رحلة من رحلاتها العجيبة.

أخرجت الخريطة من حقيبتها، تفحصتها باهتمام على ضوء كشافها الصغير،

لقد اقتربت كثيرًا من شرق نيفادا، تحديدًا من وجهتها التي عبرت مسافة ليست بالهينة لتصل إليها.

تسألني ما المثير في نيفادا؟ ما الذي يجذب هذه الفتاة ذات الخامسة والعشرين ربيعًا للذهاب إلى هذه الصحراء القاحلة!

الإجابة كانت تتلخص في مقال صغير قرأته سالي منذ أيام قليلة عن شهرة نيفادا بالظواهر الفورتية، والظواهر الفورتية إن كنت لا تعلم هي تلك المتعلقة بالأنشطة غير المفسرة والتي تدور حول الفضائيين.

منذ بداية الحرب العالمية الثانية، تكاثرت الأقاويل والشائعات حول نيفادا والمنطقة "51" خاصةً بعد الاختفاءات الغامضة التي حدثت لبعض الشباب والتي لم يستطع رجال الشرطة تفسيرها إلى يومنا هذا، وهناك أيضًا الكثير من السجلات التي رصدت ظهور أجسام غريبة في سماء المنطقة، أجسام دائرية تبدو كأطباق طائرة، ورجح بعض العلماء أن هذه المنطقة بها ثقب كوني يسمح بمرور الكائنات الفضائية للأرض.

لم تصدر أي تصريحات من الجيش الأمريكي عن طبيعة هذه المنطقة وتجاهلت الشائعات وسط حالة من التعتيم الغامض، حتى أن الرئيس الأمريكي الأسبق "أوباما" قال ساخرًا في لقاء صحفي قبل أن يتولى منصبه، أنه إذا نجح في الانتخابات سيكون من ضمن مكاسبه أنه سوف يعلم ماذا يحدث بداخل المنطقة 51.

لم تعترف الولايات المتحدة رسميًا بالمنطقة إلا في عام 2013 فقط، وصرحت أنه جزء من قاعدة عسكرية بها مطار عسكري والقاعدة تقوم بتجارب الطائرات الحربية الحديثة في سرية تامة.

لكن الشائعات استمرت بالحديث عن وجود تجارب سرية غير معروف مضمونها، أما المناطق المحيطة فقد أصبحت مزارًا سياحيًا مشهورًا لمحبي

الظواهر الفورتية.

قضت سالي تلك الليلة متنقلة بين المقالات بشغف، وقد كان كل هذا الغموض كفيل بأن تبحث عن أسعار الرحلات السياحة لنيفادا، ولم تمضِ سوى أيام قليلة حتى وجدت نفسها في الحافلة المتجهة إلى نيفادا وسط فوج سياحي ومرشد متحمس.

وها هي تنتظر موعد الجولة الحرة التي تستمر لساعتين، من ثم تتسرب من وسط المجموعة والمرشد خلسة مثل القطة الصغيرة دون أن يشعروا بها وتسلك طريقًا آخر أقل صخبًا وأكثر خطورة، الطريق المتجه إلى المعسكر المحظور والمنطقة التي تحدثت عنها الصحف.

و لم تنسَ بالطبع أن تغلق هاتفها حتى لا يتصل بها المرشد. سوف يبحثون عنها كثيرًا ثم يرحلون، وربما يرسلون دورية للبحث عنها، حينها يمكنها التظاهر بالبلاهة وقول أنها ضلت طريقها. ضحكت وهي تتخيل قلق الجميع ومحاولاتهم البائسة للوصول إليها.

تسلقت سالي صخرة عملاقة مرتفعة نوعًا ما لتكشف المناطق المحيطة، ثم استلقت على ظهرها فوق الصخرة بإرهاق، أخذت تتأمل السماء، أحيانًا تشعر أنها تنتمي للنجوم، وهي ليست جملة شاعرية كالتي يكتبها المراهقون كنوع من الخواطر على صفحتهم في فيسبوك، إنها تشعر حقًا أن روحها الظامئة للمخاطرة قادتها هنا وأنها لم تأت هنا بمحض الصدفة.

تساءلت في سرها، هل استلقى هنا قبلها أحد هؤلاء الذين اختفوا؟ هل تأملوا إلى نفس السماء مثلها؟ ترى ماذا قابلهم؟ وبمَ كانوا يفكرون حين قابلوا ما قابلوه؟ شعرت برجفة تزحف على عنقها وهي تفكر، لعلهم اقتربوا من الحقيقة أكثر مما ينبغي، لقد عرفوا بالتأكيد سر الاختفاءات، لكنهم لم يعودوا قط ليقصُّوا ما حدث لهم!

غفت عين سالي وهي غارقة في هذه العوالم الحالمة.

***

لا تعلم كم من الوقت غفت، لكنها استيقظت على حركة ما بجوارها، حركة خفيفة للغاية، حفيف أقدام، أقدام؟! لكن الصخرة لا تحتمل أقدامًا أخرى، بالكاد تستطيع أن تنام هي!

أصغت السمع بدون أن تظهرأي بادرة إنها استيقظت، علا صوت الأقدام على الأرض، ثم صوت شاب يهمس، بل شابان يتهامسان، فتحت عينها بحذر وقد أصبح الظلام دامسًا فرأتهما بصعوبة، شابان يعبثان بحقيبتها ويتهامسان كي لا تستيقظ، إنهما هذان الصبيان من محطة الوقود!

لقد تتبعوها!!

نهضت كالملسوعة بحركة عصبية حتى أنهما أجفلا وابتعدا عنها قليلًا.

- ماذا تفعلان بحقيبتي؟

- مهلًا يا حلوة! كنا فقط نبحث عن بعض النقود. ها ها ها، إنك لعمري فتاة صغيرة جريئة للغاية!

ضحك الفتية وقال الفتى الآخر وهو ينظر لها بغموض:

- ألا تعرفين خطورة تواجدكِ هنا وحدكِ ليلًا؟

- إنها منطقة خطرة سيئة السمعة يا حلوة، ألم تسمعي عن حوادث الاستحواذ الفضائي التي حدثت هنا؟

قالت لهما بعصبية:

- أعطياني حقيبتي الآن وإلا ستندمان!

عاودا الضحك وقال أحدهما:

- اهدأي، نحن لن نؤذيكِ، كوني فتاة لطيفة فقط، أوكاي!

- أو قد نؤذيكِ قليلًا فقط..

قال هذه الجملة وهو يقترب منها، ركلت أقربهم إليها في وجهه فسقط على رأسه يئن في ألمٍ واضح، بينما لكمَ الآخر ساقها التي كانت ترتكز عليها فسقطت على ظهرها وارتطم رأسها بجزءٍ بارز من الصخرة، سالت دماء حارّة من رأسها لتغرق جبهتها، بينما جرّها الفتى من قدميها جرًا لتسقط أرضًا من ارتفاع متر ونصف عن الأرض.

كانت سقطة مؤلمة للغاية، لكنها تماسكت وحاولت النهوض، فدفعها الفتى لتقع مجددًا، شعرت به يجثو فوقها كالكابوس ويتحسس جسدها في نهمٍ محدثًا صديقه عن سخونة جسدها، سكنت حركتها تمامًا واستسلمت ثم رفعت عينيها تتأمل النجوم وهي تسمعهما يتشاجران على من سيبدأ بتناول هذه الوجبة اللذيذة.

حين ظهر ضوءٌ ما، في البداية كانَ ضعيفًا، قادمًا من الطريق المعاكس لذلك الذي أتت هي منه، من اتجاه المنطقة 51. ثم اقترب الضوء وصار أكثر قوة تدريجيًا، وانعكس على عينيها الزرقاء البراقة وعلى وجوه الفتية المذعورين. إنها كشافات لسيارة كبيرة الحجم، اقتربت منهم للغاية ثم أوقف سائقها محركاتها، ووقف يراقبهم بهدوء كالسمكة، مسلطًا أنوار كشافاته في وجوههم بطريقة مزعجة، لم يترجل أحد من السيارة لمدة دقيقة مرت كالدهر، توتر الفتية بشدة وتصببوا عرقًا، موقفهم سيئ للغاية، كما أن هذا الضوء اللعين الذي يغشي أبصارهم يزيد الأمر سوءًا، إن هذا الوغد يعلم جيدًا أنه يلعب بأعصابهما، فلطالما كان النور القوي المسلط على الوجه من أقسى وسائل الضغط نفسيًا.

استجمع فتى منهما قوته وقال بصوت أراده أن يبدو واثقًا:

- هاي يا هذا! أطفئ أنوار محركك، إنك تضايقنا أنا وأصدقائي.

اعتدلت سالي في جلستها ببطء وضمّت قميصها الذي مزقه الفتى على جسدها بصعوبة، بينما الفتى ما زال يتحدث لسائق السيارة:

- قلت لك أطفئ أنوار السيارة وارحل من هنا وإلا ستندم!

زحفت سالي مبتعدة ببطء عنهما والتقطت حقيبتها تفتش فيها عن الصاعق،

وكأنما استجاب السائق الغامض لأمر الفتى، أدار محركات السيارة، وعاد للخلف مسافة لا تقل عن المترين ثم توقف مرة أخرى، تقدم الفتي منه بعصا كان يحملها لم ترها سالي في البداية، رفع العصا مهددًا السائق:

- قلت لاشأن لك بـ...

وقبل أن يقترب خطوة أخرى، انطلقت السيارة بأقصى قوتها لتدهس الفتى أمام أعين سالي والفتى الآخر المذهولان. نظر الفتى لصديقه الذي سقط جثة هامدة وكاد يقول شيئًا لولا أنه وجد السيارة تعود للخلف مجددًا وتغير اتجاهها ناحيته، فتراجع الفتى خطوتين مذعورًا ثم فرّ هاربًا واختفى تمامًا بعدما خرج من دائرة الضوء.

حاولت سالي أن تقف مستندة إلى الصخرة، لكنها سقطت أرضًا وهي ترتجف تنظر إلى باب السيارة الذي فُتح ببطء وترجل منها شاب فارع الطول واقترب منها. لمس جبهتها بأنامل باردة كالثلج قائلًا:

- هل أنتِ بخير آنستي؟

لكنها فقدت الوعي.

***

استيقظت سالي لتجد نفسها في فراش نظيف دافئ، تحسست رأسها؛ مضمدة بعناية، تأملت الغرفة بفضول؛ واسعة نظيفة، يدخلها ضوء الشمس فيختلط مع

الأثاث الأزرق ولون الجدران البيضاء فينشر بهجة عارمة، ضوء الشمس الدافئ يتسلل من الشرفة. نهضت بحذر إلى الشرفة؛ مساحة خضراء واسعة، إذن هو بيت بداخل مزرعة، مزرعة! وسط الصحراء! هل ما زالت بصحراء نيفادا؟

مدت يديها لتفتح مزلاج الشرفة، تريد أن تخرج لهذا المنظر الساحر وتستنشق الهواء العليل، ما هذا؟! يا له من باب غليظ! لم تستطع فتحه، حاولت بقوة أكبر..

- أبواب الشرفات مغلقة بألواح من الخشب.

التفتت لمصدر الصوت، إنه ذلك الرجل، منقذها. أشار بإصبعه إلى ألواح الخشب التي لم ترها هي في البداية. فقالت له بإحراج:

- أردت فقط أن أستنشق بعض الهواء.

ثم عاودها الدوار فجلست على المقعد المجاور وأدركت أنها لا تذكر أي شيء مما حدث أمس، فقالت له:

- أنت نقلتني إلى هنا؟أين أنا؟

- نعم، لقد فقدتِ الوعي وكنتِ تنزفين بغزارة، فقمت بنقلكِ لمنزلي، أقرب كثيرًا من المشفى.

- أوه! تذكرت، شكرًا لك على كل شيء.

اقترب منها ومد يده ليصافحها قائلًا:

- لا عليكِ، أنا دكتور تومسون.

أصابعه باردة كالثلج، ارتعشت كفها الدقيقة وهي تصافحه:

- سالي.

أشار لحقيبتها التي تناثرت محتوياتهاعلى المائدة وقال:

- معذرة لكنني كنت أبحث عن بطاقة هويتك وهاتفك حتى أستطيع الاتصال بأحد من أهلكِ، لكنني لم أجد الهوية، يبدو أنكِ فقدتها أمس، كما أنني لم أستطع أن أستخدم هاتفك.

قالت له بخفوت:

- شكرًا لك، في الواقع، لا أهل لي، أنا وحيدة.

قطب حاجبيه بأسى وهز رأسه بتفهم. ثم دعاها لتناول الإفطار على مائدة المطبخ المطلة على المزرعة، جلست تتأمله بينما كان يعد لها بعض الشطائر والقهوة الأمريكية كريهة المذاق.

- لا تؤاخذيني، أنا لست بطاهٍ ماهر.

وابتسم ابتسامة مشرقة للغاية، تأملته سالي بإعجاب، قسمات وجهه المليحة وشعره الناعم يتدلى ليغطي جبهته، لاحظت أنه يراقبها هو أيضًا من خلف نظارته الطبية بنظراتٍ خجولة، ثم حان وقت السؤال الذي كان لا بد وأن تطرحه عليه:

- ما الذي أتى بك إلى هناك أمس؟

ابتسم بغموض قائلًا:

- أنا أعمل هناك، أعتقد أنه أنت من يجب أن نطرح عليه هذا السؤال؟

- مهلًا، تعمل هناك؟ أين؟

- أنا طبيب، أعمل في وحدة نيفادا العسكرية على بعد كيلومترات بسيطة من المكان الذي وجدتكِ به أمس مع هؤلاء الأوغاد، لحسن حظكِ أنني كنت أتجه إلى منزلي وقتها.

صمتت ونظرت له قائلة:

- المنطقة 51؟

ابتسم وقال لها:

- وحدة نيفادا العسكرية، هذا ما نطلقه عليها عزيزتي، أما هذا الاسم الآخر هو الخاص بوسائل الإعلام التي يسيل لعابها لنشر أخبار الفضائيين الذين نقوم بتشريحهم.

قالت له وهي تضحك:

- هل أعتبر ذلك اعترافًا ضمنيًا أنكم تمزقون الفضائيين إربًا؟

ضحك هو الآخر قائلًا وهو يرشف ما تبقى في كوبه من قهوة:

- لا تسرقي مني الكلام يا صغيرة، هذا فقط ما يقال عنا.

بللت شفتها السفلى وقالت:

- نحن لم نبتعد كثيرًا صحيح؟ قلت أننا أقرب من المشفى؟

- بلى، نحن على بعد بضعة كيلومترات من الوحدة العسكرية، لكن في الجهة الأخرى.

- هممم... حسنًا.

جلست تقص عليه قصتها منذ بداية المقال الذي وجدته عن نيفادا وفضولها لاستكشاف المكان، حتى وجدها هو في قبضة هؤلاء. قالت له وهي تجفف فمها بعد الأكل:

- يجب أن نبلغ الشرطة.

- لا داعي لذلك.

- لماذا؟

- لن تجد الشرطة جثة الفتى على أي حال ولن يتحدث الآخر حتى لا يُدان.

- لا أفهم، ماذا تقصد؟

نهض "توم" يجمع الأطباق وتجاهل سؤالها، لكنها ألحت عليه، فتنهد قائلًا وهو يجلس أمامها:

- اسمعي سالي، هذا المكان ليس آمنًا بالفعل، من الأفضل أن ترحلي ولا تعودي لمثل هذه المغامرة الحمقاء مرة أخرى، ربما استطعت أنا أن أساعدك أمس، لكن في المرات القادمة لن تكوني محظوظة، وقد يقابلك ما هو أسوأ بمراحل من مجرد صبية عابثين.

نظرت إليه برعب وهي عاجزة عن النطق وفي نفسها بركانًا ثائرًا من الفضول الذي سرعان ما انفجر، لتنطلق من فوهته حمم الأسئلة، عن طبيعة عمله، وماذا يحدث بداخل هذه القاعدة العسكرية وعن مصير هذا الصبي؟

لكنه قابل كل أسئلتها بصمت تام وهو يعيد حزم حقيبتها، ثم قال لها بلهجة حازمة:

- أعتقد أنكِ بخير الآن! يمكنني أن آخذكش إلى موقف الحافلات لتعودي من حيث جئتِ.

قاطعته وكأنها لم تسمع ما قال:

- لكنك تعيش هنا في هذا المكان المعزول تمامًا عن البشر وتغلق النوافذ بجذوع الأشجار! لماذا لا ترحل أنت أيضًا طالما تجد المكان بهذه الخطورة؟

- هذا البيت هو إرث عائلي، لقد كنت أعيش مع أسرتي هنا، لم تنجح القوات العسكرية بأخذ هذا المنزل لأنه يبعد مسافة لا بأس بها عن المنطقة، لا مكان آخر لي سوى هذا، كما أن عملي هناك، لا أستطيع تركه. لا تقلقي يا صغيرة أستطيع دائمًا أن أتدبر أموري.

ابتلعت أسئلتها وقد أخجلها رد مضيفها الغامض، واستسلمت وقد أدركت أنه لا ينوى أن يبوح بما هو أكثر.

وأن فضولها لن يرتوي من هذا الصامت الغامض، فنهضت وأخذت حقيبتها ممتنة. ركبت سيارته وقاد بسرعة جنونية ليصل إلى المحطة قبل أن تستطع هي حفظ معالم الطريق إلى بيته. كانت تعلم جيدًا أنها لن تهدأ حتى تفهم، ولن تفهم إلا عندما تسبر أغوار هذا الغامض. إنه صامت كالأسماك، نظرت له بطرف عينها، إنه يروق لها كثيرًا، لأنه غامض، إنه قادم من تلك العوالم التي تعشقها.

توقفت السيارة أمام محطة الحافلات، فترجلت سالي من السيارة وشكرته على كل شيء، وهي تصافحه ثم عادت إليه بعدما تحركت خطوتين وقالت له بدلال:

- هل يمكنني أن آخذ رقم هاتفك على الأقل؟

صمت قليلًا، فقاطعت تفكيره قائلة:

- ربما نستطيع أن نخرج سويًا يومًا ما! ربما أدعوك لكوب من القهوة؟

ابتسم بسخرية قائلًا:

- سالي، إننا من ولايتين مختلفتين يا صغيرة!

فعادت تقول له بحماس محبب كالأطفال:

- حسنًا، ربما نتحدث عبر رسائل واتساب أو فيسبوك لفترة ما، وربما أزورك أو تزورني.

تردد قليلًا ونظر في ساعته فقالت له بإلحاح:

- هيا، أنا لن أقضم أطرافك ليلًا، أنا لست كائنًا فضائيًا من هؤلاء الذين تتستر عليهم.

فابتسم لدعابتها وأعطاها كارت أنيق به رقمه واسمه. صعدت سالي للحافلة وهي تحتضن الكارت، وفي عينها نظرة شيطان يحلم، لقد وجدت ضالتها التي سوف تشغلها لفترة لا بأس بها أبدًا.

***

كانت سالي تعلم جيدًا أنها تروق لتوم كذلك، لاحظت نظراته الخجولة لها، وهي لن تضيع تلك الفرصة التي جاءتها على طبق من ذهب، هناك شيء غامض يحيط بعالم هذا الرجل، وهي تريد أن تفهم أكثر، لذلك في اليوم التالي، أرسلت له رسالة شكر رقيقة، ولم تمر سوى ثوانٍ معدودة حتى وجدت إشعارًا بقدوم رسالة. اعتدلت في جلستها.. إنه هو!

أجابها باقتضاب أنه لم يفعل شيئًا وأنه واجبه. ثم ساد الصمت لدقائق، لم تجد ما تقوله، لكن وجدته يبادر بالسؤال عن جرح رأسها، وإذا كانت على ما يرام. تبادلا حديثًا قصيرًا في البداية، ثم شعرت أنه بدأ يكون أكثر لطفًا، فطال حديثهما كثيرًا. لم تدرك كم من الوقت مضى إلا عندما قال لها:

- تصبحين على خير.

نظرت إلى الساعة، إنه منتصف الليل!

في الواقع إن توم شاب لطيف للغاية بالفعل.

***

توطدت علاقتهما كثيرًا، بل يمكننا أن نقول إن الأمر لم يعد مجرد صداقة مثلما كانت تأمل سالي في البداية. لقد صارا عصفوري حب جميلان، قطع مسافة لا بأس بها أبدًا من ولايته لولايتها فقط ليراها، زارها أكثر من مرة خلال الثلاثة أشهر. جلسا في ذلك المقهى الهادئ بالمدينة يتهامسان وقد تلاحمت أناملهما، تحتسي هي الشوكولاتة الساخنة كالأطفال، بينما لا يكف هو عن طلب القهوة

الأمريكية وهو يدخن كثيرًا، تتساقط خصلة من شعرها المجعد لتغطي عينيها الزرقاء الواسعة، فيمد أصابعه ليزيح الخصلة السوداء ليرى عينيها، تضايقها كثيرًا برودة أنامله المزعجة، تشعر برعشة مرعبة عندما يتلامسان، لكنها تنظر إلى عينيه الرمادية الخجولة فتتناسى هذه الملحوظة العابرة.

يطيل أظافره بطريقة مثيرة للجدل كذلك، حتى أنه جرحها جرحًا داميًا بدون قصد يومًا، كادت تقول له أنها لا تحب منظر أظافره لكنها شعرت بالحرج، ابتسمت وهي تراه ممتقع الوجه محرجًا وهو يجفف دمائها بمحارم ورقية ولا يكف عن الاعتذار.

كان يغمرها بالاهتمام الذي لطالما افتقدته، وأدركت كم كانت وحيدة قبله، لطالما كانت وحيدة لكنها لم تشعر بذلك قبل الآن. وعرفت أنه لا يقل وحدة عنها، لقد كان يعيش مع والداه وأخته في هذا المنزل، وكان أباه هو أيضًا عالمًا شهيرًا بوحدة نيفادا. أسرة سعيدة صغيرة، لكن الرياح تأتى دائمًا بما لا تشتهي السفن. مرضت أخته الكبرى كثيرًا، فعزلها أبوه عنهم فترة في غرفتها، ثم نقلها إلى وحدة نيفادا حتى تكون تحت إشراف طاقم طبي متخصص، لكنها توفت.

اكتئب أبوه كثيرًا وانعزل في غرفته. ثم هجرتهم الأم، ليبقى هو وأباه فقط.

- كنت في الثامنة عشر من عمري حينما وجدت نفسي مطالب بأن أستعد لدخول الجامعة وأجد وظيفة وأعتني بنفسي وأبي كذلك.

قال لها وهو يتأمل كوب القهوة بشرود، ثم أكمل حديثه بهدوء:

- لم يمر سوى عامين على هذا الحال، ثم جاء ذلك اليوم، عدت يومًا من جامعتي لأجدأبي في الحديقة وقد قطع شرايين ساعده ،لم يستطع أن يصمد، لم يستطع أن يغفر لنفسه وفاة "إيمي" قط.

- وما ذنبه في وفاتها؟ قلت أنها مرضت؟

صمت ولم يجبها. شعرت بالشفقة عليه كثيرًا، المسكين، وجدت نفسها تحتضن كفه الثلجية بكفها وتقبلها. شعور بالارتياح كان يغمرها وهي تجلس معه، كانت منزعجة فقط من بعد المسافات، وخصوصًا مع رفضه القاطع أن تزوره في نيفادا. فتقول له بدلال:

- لكنني أفتقدك، وأريد أن أراك أكثر.

يبلل شفته السفلى وهو يغمغم قائلًا:

- ألا يكفيك أنني أحضر لرؤيتك كلما أردت؟

فتقبله ضاحكة:

- لا أشبع من قطعة الشوكولاتة الخاصة بي.

تحب ابتسامته الهادئة ونظراته الخجولة من وراء نظارته الطبية السميكة، إنها تحبه بلا شك. حتى وإن تضاربت مشاعرها أحيانًا. يختلط حبها له بخوفها منه، وذلك بسبب غموضه المبالغ فيه. وخصوصًا مع تلك الأمور المتعلقة برسائل العمل، أحيانًا تسمعه يتشاجر بعصبية حتى يرتفع صوته ثم يدرك أن صوته ارتفع، فيعود ليهمس همسات عصبية.

وأحيانًا ينتحي جانبًا ويطالع رسائله خلسه، حتى أنها شعرت مع كل هذه السرية في التعامل مع هاتفه، انه ربما كان يخدعها وهناك امرأة أخرى تنتظره هناك في نيفادا. وتتساءل هي الأخرى عن سفره المريب إلى كنساس مؤخرًا.

لا تصدق كل هذا الحديث عن مشاكله مع العمل ورغبتهم في فصله. صارحته يومًا بأفكارها وهي غاضبة، فترك الحقيبة التي كان مشغولًا بالعبث بمحتوياتها ونظر لها ضاحكًا، أثارت ضحكته أعصابها فعقدت حاجبيها بعصبية قائلة:

- هل تسخر من حديثي؟

فتعالت ضحكته العذبة وأخرج علبة مخملية زرقاء اللون من تلك الحقيبة أمام

عينيها الغاضبتين، وفتحها مبتسمًا.

- هل تتزوجيني؟

نظرت لخاتم الزواج الماسي غير مصدقة، وترقرقت الدموع بعينيها.

رباه!!

وكيف لها أن ترفض هذا الوسيم.

***

أيام كالحلم مرت عليها بجواره، لقد وعدها أن يبذل قصارى جهده ليعوضها عن حياتها البائسة، ولم يخِب ظنها في الواقع. لقد مر على زواجهما أربعة أشهر هادئة جميلة، تنظر إلى صورة زواجهما وتتذكر الاحتفال الرقيق الخالي من البشر.

لا أهل لها ولا أهل له، كأنهم خلقوا ليكملوا بعضهما بعضًا، وهذا ما كان يريح سالي كثيرًا، فهي لم تكن تريد أن تتزوج رجلًا وتُجبر على التعامل مع أمه الشمطاء التي تراها غير جديرة بابنها.

انتقلت للعيش معه في نيفادا، لكن بمنزل آخر غير ذلك المنزل الذي تقابلا فيه. طلب منها قبل الزواج أن تأتي لتختار معه منزلًا جديدًا، وحين اعترضت وقالت أنها تحب منزله الهادئ، رفض بغلظة أن يعيشوا هناك وتجنب الإجابة عن أسئلتها عن السبب، وعندما أصرت على معرفة السبب، قال لها مغمغًا:

- إن هذا المكان محاط بالأخطار.

- ما نوع الأخطار؟ هل تلك الإشاعات حقيقة إذن؟

صمت قليلًا فاستنطقته قائلة:

- توم!

هز رأسه قائلًا:

- المكان يحمل السمعة الأسوأ على الإطلاق عزيزتي، ولا أعلم كيف قادك عقلك الأحمق بالتجول هناك وحيدة ذلك اليوم، لقد كان الخطر يتربص بكِ طوال الوقت، أنتِ والصبية الحمقى لكنهم لم يعرفوا، أو ربما قصّ عليهم آبائهم قصصًا مبهمة عما يحدث في هذه المنطقة ليلًا، ولكنهم لم يصدقوا !

بلعت ريقها بصوتٍ مسموع وسألته السؤال الذي لطالما سألته وظل بلا إجابة واضحة:

- ما هي طبيعة عملك؟ هل تتعامل مع هذه الأشياء؟

وبالطبع كانت تعني كل تلك الأشياء التي يقرأونها عن قاعدة نيفادا، لكنه صمت ولم يجب، فقاومت فضولها القاتل وصمتت هي أيضًا، وإن كانت قد تأكدت من صمته أن الإجابة هي "نعم". وهذه المرة حين طلب منها أن تختار معه المنزل الجديد لم تعترض، لكنها لم تندم كذلك، إن هذا المنزل الذي قاموا باختياره سويًا لهو أكثر بهجة، يقع في منتصف فيجاس في منطقة من أكثر المناطق الحيوية هناك، وبه حديقة واسعة، وغرفة واسعة ومتعددة، هناك تلك الغرفة الشرقية ذات الطلاء الوردي، إنها تصلح لطفلتهم القادمة.

ألم أخبركم بعد؟

نعم، إن سالي حامل بشهرها الرابع.

وهو خبر مفاجئ لم يكن في الحسبان، وبدت سالي مذعورة في البداية، لكن سعادة توم كانت لا توصف، وطمأنها كثيرًا أنهم سوف يتعاونون سويًا على رعاية الوافد الجديد. وإن كان رد فعله مخيبًا لآمال سالي نوعًا ما في البداية، فهو لم يتفاجأ عندما أخبرته بأمر حملها وكأنه كان يعرف.

دُهشت كثيرًا، لمَ لم يُثر الأمر دهشته مثلها؟ إن حملها بهذه السرعة الجهنمية

لهو شيء خارق، لكنها لم تعكر صفو سعادتها بالرغم من كل شيء، إن الأزواج لا يملكون تلك العواطف الجياشة مثل النساء. كما أنه سعيد أيضًا لا يمكنها إنكار ذلك، ربما خانه التعبير فقط، وبدأ يعد قائمة طويلة من المقويات والفيتامينات التي سوف يعطيها لها بنفسه حتى تبقى بصحة جيدة.

***

كانت تقضي فترة حملها في القراءة وإعداد الغرفة لاستقبال طفلتها التي افترضت أنها أنثى، بل إنها أيضًا أطلقت عليها اسم "جميلة"، وهو اسم باللغة العربية كانت قد قرأت من قبل أنه يدل على أن صاحبته فاتنة، لم يستسيغه توم كثيرًا لكنه ابتسم عندما رأى حماسها.

يصر توم على متابعتها بنفسه ويرفض ذهابها لطبيب بحجة أن الأطباء في فيجاس لا يبرعون في طب النساء والولادة، لا يكف عن فحصها أكثر من مرة يوميًا ويحقنها بالعديد من العقاقير المقوية والفيتامينات.

- أنا لا أفهم إصرارك على عدم زيارة طبيب!

- لي صديقة فقدت طفلتها بسبب إهمال الأطباء.

- توم، أنت لا أصدقاء لك!

- بالطبع لي أصدقاء يا حلوتي! وهل هناك إنسان طبيعي بلا أصدقاء؟

- أين هم إذن؟

- ظننت أنكِ لا تحبين البشر، ربما أعرفكِ عليهم لاحقًا.

- لا أحب البشر؟ هل أنا كائن فضائي؟

ضحك على دعابتها وعاد ينظر في جهاز الحاسوب، فعادت تسأله بقلق:

- هل أنت متخصص في طب النساء والولادة؟ أنا لا أفهم ما كل هذه

الفيتامينات التي تحقنني بها!

- حبيبتي أنا طبيب إن لم تخنكِ الذاكرة، لقد درست كل هذه الأمور.

- ومن سوف يساعدني على الولادة إذن؟ أنت؟ وأين سألد؟

- أصدقائي الأطباء في القاعدة، أثق فيهم ثقة عمياء.

- قاعدة نيفادا العسكرية؟ تريدني أن أضع طفلتنا في قاعدة عسكرية؟ توم هل أنت بخير؟

فقال لها ساخرًا:

- ألم تقولي لي أكثر من مرة أن فضولكِ يقتلكِ لتعرفي ماذا يدور بداخل القاعدة؟ حسنًا ستقضين بعض الوقت هناك بالفعل.

قالت له بعصبية:

- توقف عن المزاح! توم أنت تخيفني كثيرًا!

تأمل توم عينيها وقال بثقة:

- هل تعلمين كم أحبكِ وأحب جميلة؟

- بالتأكيد.

- حسنًا، فلتثقي بي حبيبتي، أنتم شيء غالٍ للغاية ولن أعرضكم للخطر مهما حدث، كل ما في الأمر أن القاعدة بها غرفة عمليات مجهزة بأحدث المعدات الطبية، وأنا أثق بالفريق الطبى هناك، كما أن الأمر لن يكلفنا أي أموال، أنتِ تعلمين الضائقة المالية التي أمر بها..

صمتت على مضض، لم تشعر بالراحة لقرار زوجها الغريب، إن كل قرارته لا تقل غرابة عنه هو شخصيًا، لكنها لا تجد أمامها سوى الوثوق به، هي على الأقل تعلم جيدًا أنه يحبها وأنه لن يعرضها للخطر.

عادت لقراءة كتابها بعقل نصف شارد.

***

ثم كان ذلك اليوم..

عاد توم من عمله متعب للغاية، لقد صار يقطع مسافة كبيرة للغاية من منزلهم الجديد في فيجاس لعمله في نيفادا، فيرهق كثيرًا. نام على الأريكة حتى انتهت سالي من إعداد الغداء، لاحظ من حركتها العصبية أنها تعترض على خموله، لأنه وعدها أنهم سيذهبون الليلة للسينما. فقاوم إرهاقه وطلب منها ان ترتدي ملابسها وتستعد للخروج، نهضت بمرح كقطة صغيرة وفي خلال دقائق كانت مستعدة، ساعدها في ارتداء حذائها فهي لم تعد تستطيع أن تنحني لربط حذائها. وانطلقوا مسرعين حتى لا يفوتهم العرض.

تأبطت ذراعه بحب فقبّل رأسها، ثم أشارت إلى بائع حلوى غزل البنات بحماس كالأطفال، فابتسم توم وتركها ليعبر الطريق يبتاع لها بعض الحلوى. ضمت شالها الصوفي على جسدها طلبًا لمزيد من الدفء حين شعرت بذراع قوية تقبض على جسدها، بينما اليد الأخرى لنفس الشخص تكتم أنفاسها، حاولت الاستغاثة بتوم لكنه كان يدير ظهره لها فلم يرَ المشهد.

سحبها مهاجمها سحبًا إلى زقاق جانبي مظلم، وهمس في أذنها بلهجة وقحة:

- أعطني محفظتكِ اللعينة وكل الحلي الذي ترتدينه بهدوء، إذا أردتِ ألا تفقدي طفلكِ.

أنامله الثلجية تؤلمها بسبب شدة برودتها. ونصل المدية الصدئة ينغرس طرفه في بطنها، مدت يدها تخلع قرطها برعب، والقذر يتحسس جسدها بنهم محاولًا سرقة بعض اللمسات الدنيئة إلى جانب السرقة المادية قائلًا:

- إن جسدكِ الملتهب يثيرني يا صغيرة، جلدكِ يلسعني.

ظهر توم من طرف الزقاق وهو يركض وما تبقى من الحلوى التي تطايرت معظمها ما زال بيده. اقترب منهم بهدوء وهو يتحدث بصوتٍ متقطع مرتجف:

- أرجوك، لا تؤذِها، أرجوك.

توتر السارق، فتقلصت عضلاته بشدة حول جسد سالي ووضع المدية على رقبة سالي صارخًا في توم:

- إذا اقتربت سأنحر عنقها الجميل.

لكن توم واصل اقترابه بهدوء قائلًا:

- أرجوك خذ المال واتركنا.

أثار اقتراب توم أعصاب الرجل فقبض على عنق سالي بقوة حتى كادت تختنق واحمر وجهها، فصرخ به توم:

- كفى!

وهنا حدث شيء غريب، لقد برقتَ عين السارق وانتفض بشدة وكأن أصابه ماس كهربائي وسقط أرضًا. جرى توم ليساعد سالي التي سقطت بعدما جذبها السارق معه أرضًا، نهضت سالي باكية واختبأت بأحضان زوجها، خيّل إليها أنها تحتضن لوحًا من الثلج، فابتعدت قليلًا بدهشة وقالت وسط دموعها:

-أنت، رباه، إن.. إن جسدك بارد للغاية!

- اهدأي عزيزتي، هل أنتِ بخير؟

وعاد يحتضنها مجددًا، احتملت برودة جسده بصعوبة. تركها للحظة حتى يتفحص السارق، لكنه وجده ميتًا.

***

قضوا ليلة طويلة مرعبة بقسم الطوارئ بالمشفى. أدهشها موقف توم العنيف

ورفضه الشديد لفحص الأطباء لها في بداية الأمر وإصراره على انتظار الفريق الطبي التابع لعمله، ولم يلتفت لحديث الأطباء بضرورة فحصها سريعًا. قضى ما يقرب من العشرين دقيقة متمسكًا برفضه حتى تصاعدت وتيرة الحديث بينه وبين الأطباء إلى حد المشاجرة، ومحاولة اقصائه عن غرفة الطوارئ من رجال الأمن، بينما سالي تمسك بعنقها المصاب وتصرخ به أن يكف عما يفعله.

حين قاطع كل هذه الفوضى مجموعة من الرجال شديدي المراس، تدخلوا ليفضوا هذا الخلاف بصرامة وقاموا بإقصاء جميع الأطباء العاملين بالمشفى، بينما التف حول سالي مجموعة أخرى من الأطباء الذين يبدوا أنهم تابعون للرجال شديدي المراس. طمأنها الطبيب وهو يفحصها جنينها قائلًا:

- إنها على خير ما يرام.

- فتاة هي؟

- نعم.

ابتسم لها الطبيب وضمد جرح عنقها ثم لصق بعض القطن. دخل إليها توم وتبادل نظرة مع الطبيب ثم سألها إذا كانت تستطيع أن تقابل ضابط قسم التحقيقات؟ فأومأت برأسها إيجابًا.

لقد كان الحادث فريدًا من نوعه!

الكاميرا القريبة سجلت لحظة عبور توم للشارع، ثم تكميم السارق لفم سالي وسحبها إلى داخل الزقاق الجانبي، لكنها لم تسجل أكثر من ذلك لأن هذا الزقاق خارج مجال تصويرها، تولّت إحدى الكاميرات التي كانت في شرفة أحد المنازل تسجيل بقية الأحداث بداخل الزقاق.

لا يوجد ما يدين سالي وتوم، في الواقع إن القتيل -الذي كان من المفترض أن يكون القاتل في أسوا الظروف- له سجل حافل بتهم السرقة بالإكراه والاغتصاب،

إذن فإن مقتله هو مجرد حالة دفاع عن النفس.

لكن ما لم يجدوا له تفسيرًا واضحًا، هو كيفية موت الرجل!

لقد سقط صريعًا بدون أن يلمسه أحدهم.

أشارت الفحوصات الطبية للجثة أنه توفي إثر صدمة قوية لقلبه، كأنه تم صعقه بالكهرباء، حتى أنهم وجدوا حروقًا بالغة بقبضة يديه تبدو كأنها ناجمة من حروق الكهرباء. لكن سالي وتوم لم يكن معهما ما قد يتسبب بهذه الجروح البليغة للرجل، بل إنهم لم يقوموا بمهاجمته من الأساس.

أُغلق المحضر لعدم وجود أدلة تفسر ما حدث، وعادا إلى منزلهما. جلس توم أمام جهاز الحاسوب المتنقل، يطالع إيميلاته بهدوء، وكأن شيئًا لم يكن. بينما تتأمله سالي بدهشة، كادت تصاب بالفالج، لا تتفهم هدوء أعصابه، نهضت بعصبية وأغلقت له شاشة الحاسوب المتنقل، قائلة:

- ألا تجد فيما حدث ما يثير دهشتك؟

- بلى، لكنني أحمد الله على سلامتكم أنتِ وجميلة، هذا ما يهمني يا حلوتي.

- أنا لا أفهم كيف حدث هذا، كيف مات هذا الرجل؟

- لقد تدخلت العناية الإلهية لتحميكما حبيبتي.

نظرت له لوهلة ثم قالت بشكٍ وهي مترددة فيما سوف تقوله والذي يبدو الجنون بعينه:

- أنت فعلت هذا؟

عاد ليفتح شاشة الحاسوب المتنقل، وتجاهل الإجابة، فعادت تسأله بإصرار:

- أنت فعلتها؟

التقت عيناهما للحظة وشعرت أنه أراد أن يقول شيئًا، لكنه حزم أمره وقال

بهدوء:

- بالطبع لا، أنتِ رأيتِ أنني كنت أقف على بعد خمسة أمتار، كيف لي أن أفعلها؟

كادت تقول له أن كل هذا مرعب وخارج عن الطبيعة، لكنها لم تجد فائدة من النقاش، إنه لا يهتم بحديثها. كل هذا مريب!

لماذا أصرَّ توم على عدم فحصها من قبل أطباء الطوارئ؟ ولماذا جاء كل هؤلاء من القاعدة لفحصها؟ ما مدى أهميتها أو مدى أهمية توم لديهم ليرسلوا لها قافلة من الرجال والأطباء؟ أليس توم هذا الذي كان يتشاجر معهم ويهددون بفصله من القاعدة؟

أخذت تذرع الغرفة جيئًا وذهابًا وهي تفكر فيما حدث، بينما يتأملها توم بطرف عينه من وراء نظارته الطبية. أصابها الإرهاق، فدلفت إلى الحمام، ربما تستطيع أن تتناسى أفكارها السوداء في حمام دافئ.

امتلأ حوض الاستحمام بالماء الساخن وتصاعد البخار حتى أصبحت لا ترى كفها، أشعلت بعض الشموع وأدارت موسيقى "نات كينج كول" المحببة لنفسها، تأملت رقبتها ونزعت عنها الضمادة، يخيل إليها أن الجرح صار أخف، لم يعد غائرًا مرعبًا مثلما كان في المشفى، لكنه ما زال قبيحًا.

أطلقت زفرة حارة، لمست الماء بأطراف أناملها. الماء ليس ساخنًا بما يكفي، رغم تصاعد البخار منه، لكنها ما زالت تشعر أنه فاتر لا أكثر. لا بأس، تمددت في الحوض باسترخاء، اختلست نظرة سريعة للخارج، توم ينام على الأريكة، صدره يعلو ويهبط بانتظام، إنه مستغرق في النوم إذن.

أشعلت سيجارة خلسة قبل أن يستيقظ، إنه يمنعها من التدخين حتى لا تؤذي صغيرتهما، نظرت إلى السقف الذي تراه بالكاد من البخار المتصاعد. أغمضت عينيها للحظات، تريد أن تنسى أحداث هذا اليوم اللعين، فلتفكر في شيء آخر.

فلتفكر في صغيرتها، فلتفكر في نزهة جميلة تجمعها بها وبتوم على شاطئ هادئ والشمس ساطعة، لا، فلتكن هي وجميلة فقط، لا تريد هذا التوم الغامض المريب، هي وجميلة فقط.

ابتسمت عندما استحضرت المشهد بذهنها، شعرت بحركة خافتة جوار رأسها فأجفلت وفتحت عينيها بغتةً لتجد فتاةً صغيرة تقف بجوار رأسها. فتاة في الثالثة من عمرها، تشبهها كثيرًا، شعرها أسود مجعد مثلها، وعيناها مضيئتان كمصباحين. كتمت سالي أنفاسها وهي تتأكل الصغيرة التي تبتسم لها وتداعب شعرها برفق بكف دقيق للغاية ثم قالت لها:

- لاتقلقي أمي، أنا أقوم بحمايتك.

- جميلة؟!

ابتسمت الفتاة بعذوبة لدى سماع اسمها ولمست جبهة سالي.

- عزيزتي، حرارتك مرتفعة للغاية!

لمست الفتاة أرنبة أنف سالي وهي تهمس:

- لا تقلقي أمي، أنا وأنتِ متشابهتان.

وعكست عينيها ضوء غريب أقلق سالي، فاعتدلت بعنف فقط لتستيقظ من حلمها! لقد غفت!

لا تعلم متى تسرب منها وعيها!

نهضت من حوض الاستحمام على عجل ولفت المنشفة حول جسدها وهي تبحث بنظرها في أرجاء دورة المياه لتتأكد أن الصبية الصغيرة ليست هناك. خرجت إلى الصالة، توم ما زال غافيًا على الأريكة يحتضن الحاسوب المتنقل، تفحصت أرجاء الصالة، لا أحد هناك.. إنه حلم لا أكثر..

جلست بجوار توم الغافي، لمحت بطرف عينها شاشة الحاسوب المتنقل وبها صورة غريبة.. ما هذا؟

إنها صورة مسخ مرعب، الهيئة العامة آدمية، لكن جسمه مغطى بالتشوهات! اقتربت من الشاشة لتقرأ الكلام المدون أسفل الصورة:

**19-8-2000**

**الاختلافات التي طرأت حديثًا على "إيمي" بعد الأسبوع التاسع والعشرون. تضاعفت القوة الجسدية مجددًا، فصارت بمقدورها أن تهشم قالبًا من القرميد بيدها المجردة، زاد عرض فكها السفلي 4 سم، تستطيع أن تركض بسرعة ألف فهد.**

**تستجيب لأدق اختبارات السمع، فقد صار سمعها حادًا للغاية، تتحرك في الظلام بسلاسة تامة، ما زالت تفقد شعرها بغزارة، لم يستطِل جسدها مجددًا. لكنها مع الأسف صارت غير مؤهلة للتواصل اللغوي، وقد تحول كل حديثها لهمهمات وزئير حيواني، وإن كانت تظهر علامات للاستجابة لبعض الأوامر.**

كان ما تقرأه هو صورة لدفتر ملاحظات كتبها أحدهم بخط اليد، مدت سالي إصبعها المرتعش لتغير الصورة وتقرأ باقي الكلام:

**إن تغيرات "إيمي" تذهلني وترعبني في آن واحد، لقد صارت الأنثى الخارقة مثلما أردت لها أن تكون. لكنها فقدت آدميتها كذلك، وذلك بسبب فعلتهم الشنيعة. الأسوء أنهم يريدون المزيد من المتطوعين! ألا يكتفون بما حدث!**

مدت أناملها مرة أخرى لتغير الصورة وتكمل قراءة الكلام المكتوب، لكن قبضة توم الثلجية قبضت على معصمها بقوة ورمقها بعينين غاضبتين.

***

جلست أمامه ترتجف وهو ينظر لها بتلك النظرات إنه المرة الأولى التي تراه

غاضبًا بهذا الشكل، ثم قالت له بصوتٍ مرتجف:

- أختك كانت من ضمن تلك التجارب العلمية التي تجرى في تلك القاعدة اللعينة؟

لم يجبها وهو ينظر إلى شاشة الحاسوب، ليرى ماذا قرأت وإلى أي حد وصلت معلوماتها، فعادت تسأله بحدة:

- هل قاموا بتحويل أختك المسكينة إلى هذا المسخ!

نظر لها بغضب وقال لها:

- حذار أن تتحدثي عما لا تفهمينه، لقد كان مقدر لمشروع إيمي أن يكون هو المشروع الأقوى في القرن الواحد والعشرين.

- مشروع! تتحدث عن أختك على أنها مشروع؟ تحويل الفتاة إلى هذا المسخ الذي رأيته وتقول أقوى مشروع؟ أي هراء هذا الذي تتحدث عنه؟

- صه! ما كان لأبي أن يضحي بابنته ليحولها إلى مسخ!

برقت عينيها بدهشة وقالت له:

- أباك فعل هذا بها؟

تنهد توم قائلًا:

- إن التجربة كانت تهدف للوصول للإنسان الخارق، السوبر مان، الذي سيحدث طفرة علمية في تاريخ التجارب العلمية الحربية، عن طريق حقنه بعدة عقاقير تضاعف من قوته وسرعته وحساسية حواسه وذكائه. لقد كان كل شيء مدروس بدقة، أفنى أبي عمره في البحث وراء نتائج هذه التجربة، لم يكن ينقصه سوى التجربة الآدمية، المتطوعون، لكنهم الأوغاد لم يثقوا في نتيجة التجربة وكانوا يرفضون طلبه بمده بالمتطوعين ليبدأ تجربته على البشر بعدما أثبتت نجاحها

على الفئران، فما كان له إلا أن يبدأ تجاربه الخاصة في منزلنا، أبي لم يجبر إيمي على شيء، إيمي التي كانت تؤمن بالتجربة بكل وجدانها، تطوعت من تلقاء نفسها لتكون النموذج الأول في التجربة. لقد حسب أبي كل شيء بدقة متناهية، وكان يعطيها العقاقير بالنسب المتوافقة مع جسدها بطريقة آمنة حتى يضاعف من قوتها وسرعتها بدون الوقوع في فجوة التغيرات الفيزيائية الشنيعة.

قاطعته ثائرة:

- لقد قتلها أباك!

دفن وجهه في راحتيه قائلًا بصوت مكتوم:

- لم يكن أبي.

ثم نظر لها وعيناه تترقرق بالدموع وأكمل حديثه:

- لقد نجحت التجربة، وفي خلال 4 أشهر، سجل أبي نتائج مذهلة في تطور حواس إيمي وقوتها الجسدية، بدون أي أعراض جانبية أو تشوهات. عندما علمت القاعدة بأمر التجربة ونجاحها، أرسلوا في طلب حضور أبي ونقل حقل التجربة بأكمله إلى القاعدة. لقد أصابهم الذهول من النتائج وقرروا تولي المشروع وتعيين أبي مديرًا للمشروع وتحت يده الكثير من الأطباء. لكنهم لم يلتزموا بجدول نسب العقاقير، بعدما تناقشوا مع أبي بضرورة مضاعفة النسبة للحصول على نتائج أسرع، رفض أبي طلبهم لأنه يراعي سلامة إيمي قبل كل شيء، لكنهم لم يحبوا رأيه كثيرًا ولم يهتموا كثيرًا بسلامة إيمي التي كانوا يعتبرونها مجرد فأر تجارب وعرضوا الفكرة سرًا على القائد الأعلى، الذي سال لعابه ليرى نتائج أسرع وتحمس لرأيهم. وسرعان ما قاموا بالتدخل في حسابات أبي ليغيروها بدون علمه وضاعفوا كمية العقاقير بشكل غير محسوب.

صمت وأطرق رأسه ثم خرج صوته مهزوزًا:

- لقد ارتكب الحمقى خطأ جسيمًا، فتغيرت إيمي في أسابيع قليلة حتى صارت هذا المسخ الذي رأيته، لولا تدخلهم لصارت الأمور على خير ما يرام.

جلست سالي إلى جواره ووضعت كفها على ظهره، كان يرتجف من الانفعال، شعرت بالشفقة تجاهه وقالت له بهدوء:

- لذلك اكتئب أبوك؟

- كان أبي يحترق وهو يرى ابنته وهي تتحول تدريجيًا لهذا الشيء أمام عينه، لم يكن هذا هو مراده، وتم إقصاءه عن المشروع تمامًا لأنه حاول كثيرًا وقف العقاقير عن إيمي وتم وضعها في قفص عملاق حتى تتاح لها حرية الحركة، لكن بدون أن تؤذي أحدهم، حيث أنها أصبحت خارجة عن السيطرة. حتى جاء ذلك اليوم...

صمت مجددًا ثم نظر لسالي قائلًا:

- طلب أبي أن يرى إيمي وينفرد بها، تركوه لأنهم كانوا يعلمون أنه الوحيد الذي لا تقوم إيمي بأذيته، بعد قضائها بعض الوقت يهمس في أذنها بما لا تستطيع فهمه بالتأكيد، لأنها صارت لا تتحدث لغتنا وبالتأكيد لا تفهمها كذلك. فتح لها أبي باب القفص الحديدي لتهرب من القاعدة، استطاعت أن تخرج حرة طليقة في صحراء نيفادا، وبعدما قتلت العشرات من العلماء والجنود لم يتم العثور عليها رغم تمشيط المنطقة المحيطة لشهور بعد المجزرة، لكن توالت الحوادث في الفترة التي تلت هروبها في المنطقة، الكثير من الجثث وُجدت ممزقة ومتآكلة في المنطقة، وتناثرت الأقاويل عن الفضائيين والاختفاءات الغامضة لعابري السبيل بالمنطقة، لم يعرفوا أنها إيمي.

كان ما تسمعه سالي مرعبًا، مرعبًا للغاية. ارتجفت وهي تتخيل كل عابري السبيل الذين كانوا يمرون في هذه المنطقة ويلتقون بإيمي وهم لا يعلمون أي خطر يشكله هذا الكائن.

ربتت سالي على ظهره فانهار باكيًا وقال بصوته المختنق:

- لقد نجح أبي يا سالي، لقد نجحت التجربة، لكن هؤلاء الحمقى أفسدوا كل شيء وألقوا بفشلهم عليه، الأدهى أنهم رفضوا إعطائي فرصة إعادة التجربة مرارًا وتكرارًا، كلما قدمت ورقتي العلمية لهم يرفضون مجرد الاطلاع عليها!

نظرت له برعب قائلة:

- لقد انتهى الأمر بمأساة بشعة، هل تريد إعادة الكرة؟ ألا يكفيك ما حدث لإيمي ولأبيك؟

- سالي، أنتِ لا تفهمين شيئًا، لقد قرأت مذكرات أبي بتمعن، قرأت الأبحاث بالتفاصيل ودرست التجربة، لقد سجل أبي تفاصيل التفاصيل. قضيت 9 سنوات أبحث في التجربة، أعلم جيدًا الخطوات التي اتبعها أبي والنسب التي كان يحقن بها إيمي، وقمت بتطوير التجربة حتى أتحاشى أي أخطاء، كنت أريد فرصة واحدة، مجرد فرصة فقط! لا بد للتجربة أن تستمر وتدعم بالمزيد من البحث المدقق حتى نستطيع أن نصل للنموذج المثالي الخالي من الأخطاء، أنا أعرف كيف أعيد التجربة للحياة بطريقة أكثر احترافية.

التمعت عينه بجنون وهو يتحدث عن التجربة بطريقة نشرت الرعب بقلبها، إن توم زوجها العزيز مختل عقليًا تمامًا، إن حماسه لتحقيق حلمه أفقده توازن عقله، والأدهى أنها تركت هذا المختل المفتون بفكرة تحويل البشر لمسوخ يحقنها بعقاقير مختلفة تجهل حقيقتها!

رباه!

إنها في مأزق لا تحسد عليه. مشهد أخته والمسخ الذي تحولت إليه لا يفارق خيالها، إن كل هذا مقزز، مقزز للغاية، كيف تهون النفس البشرية إلى هذا الحد؟

وكأنه سمع أفكارها فأجابها بنفس حماسه المجنون:

- من أجل تطور العلم، من أجل تطور البشرية، لا بد من بعض التضحيات.

نهضت سالي وتركته مسرعة، هذه الليلة أصرت أن تنام في الغرفة التي أعدوها لابنتهما جميلة، وأغلقت باب الغرفة من الداخل. إنها لا تثق به بتاتًا.

جلست ترتجف وانهمرت دموعها وهي تفكر في كل هذا. أين ذهب عقلها عندما وثقت في هذا الأحمق! إنها بالكاد تعرفه، كيف سمحت له أن يعطيها كل هذه الأدوية؟

لا بد أن هناك شيئًا ما ليس على ما يرام، وهذا يفسر إصراره على عدم فحص الأطباء لها اليوم، ماذا فعل الأحمق بها؟!

شعرت بالغثيان لكنها تماسكت ونهضت لدورة المياه، غسلت وجهها بالماء الدافئ ونظرت لملامحها المرعوبة في المرآة، ثم نظرت لعنقها، بالتحديد إلى مكان الجرح.. الجرح الذي لم يعد موجودًا.

***

**ديسمبر 2017..**

مر شهران آخران على هذا اليوم العجيب، قضتهم سالي في مراقبة توم برعب وتحفظ، إنها لا تملك دليلًا ماديًا على صحة شكوكها، لكنها مذعورة للغاية. تراقب جسدها كذلك وتحاول أن تلتقط أي تغيرات، لم تستطع تجاهل سرعة التئام جروحها، لكنها لم تجد تفسيرًا لهذا. لم يزد وزنها كثيرًا رغم أنها تأكل بشراهة مفرطة. ربما استفاد جسدها من كل هذا الطعام في صورة أخرى، وهي أنها لم تعد ضعيفة هزيلة كدجاجة، لقد زادت قوتها الجسدية كثيرًا حتى أنها كادت تسقط توم يومًا وهو يقترب منها ليقبلها، وقضت اليوم تعتذر له خجلًا وتتساءل في سرها كيف استطاعت أن تدفع توم صاحب الجسد العضلي بهذه السهولة، لكنه قال لها بضيق:

- الآن أرى أن كل هذه الأموال التي نصرفها على الطعام لم تذهب هباءً.

حتى حانت اللحظة، كانت سالي تعلق زينة عيد الميلاد، وقفت بحذر على مقعد صغير لتضع الأجراس اللامعة على الشجرة، حين شعرت بآلام الولادة تداهمها، نزلت بصعوبة شديدة عن المقعد وانكمشت أرضًا في وضع جنيني مثير للشفقة.

بدأ الأمر هادئًا نوعًا ما، ثم تصاعد إيقاع الآلام حتى صار لا يحتمل.

رباه! ماذا تفعل! توم ليس بالمنزل، لا تدري إذا كان هذا في صالحها أم لا. هي لا تثق به أبدًا، لكنها كذلك لا تعرف غيره في المدينة.

زاد الألم فتقلصت أصابعها على الهاتف وعضت الوسادة لتكتم صراخها وانتظرت حتى هدأ الألم قليلًا، ثم حسمت أمرها واتصلت بتوم الذي كان يبتاع بعض المعلبات والذرة الصفراء لها. لحسن الحظ أنه قرر عدم الذهاب للعمل اليوم على غير العادة، وإلا كان عليها أن تنتظر عودته من العمل والذي قد يستغرق أكثر من ساعتين.

عاد إليها مبتسمًا وقبّل رأسها مطمئنًا، فحصها سريعًا وقال لها وهو يعبئ المحقن بسائل وردي شفاف ثم يقيس نبضها:

- يجب أن نسرع حبيبتي، الطريق ليس قصيرًا.

أجابته بصوت متقطع:

- لا عقاقير، لا أريد هذا الشيء.

ولطمت كفه فسقط المحقن أرضًا وانثنت الإبرة، نظر لها بهدوء محاولًا تهدئتها:

- إنه مجرد مسكن خفيف.

فقالت له وهي تجاهد كي تلتقط أنفاسها:

- أرجوك توم أرجوك، لا أريد أن... لا أريد الذهاب إلى هناك... أرجوك!

لكنه لم يلتفت لها وأكمل تحضير الحقيبة وهو يهمهم:

- لن نتأخر، الطريق غير مزدحم، إنه موسم العطلات، لقد اتصلت بهم وهم مستعدون لاستقبالك أنتِ وجميلة و...

قاطعته صارخة بعنف:

- أنا لن أذهب إلى هذا المكان اللعين.

سقط توم على إثر صراخها أرضًا، وكأن لغمًا انفجر بالقرب منه! فنظرت له بدهشة وذعر:

- يا إلهي! هل أنت بخير؟

لكنه لم يندهش نهض وجلس على ركبته وقال لها بهدوء:

- اهدأي سالي، أنا لن أؤذيكِ، أرجوكِ يجب أن نسرع إلى هناك، إنهم، إنهم ينتظرون، أنا لن أستطيع مساعدتكِ هنا حبيبتي.

لكنها رغم ألمها كانت تتساءل كيف سقط أرضًا بسبب صراخها؟ من الذي ينتظرها؟ قالت له وهي تنطوي على نفسها وجعًا:

- ماذا تقصد؟ من ينتظر؟

ارتبك وهو ينظر في ساعته، فعادت تسأله وهي تصرخ ألمًا:

- من تقصد؟ من الذي ينتظر؟

قال بارتباك:

- إنها... لا يجب أن تولد هنا. هذا خطأ جسيم، ينبغي أن تولَد هناك!

صرخت سالي ألمًا وجلست أرضًا، اقترب منها محاولًا تجفف عرقها الغزير عن وجهها، لكنه تراجع صارخًا في ألم، نظرت لأنامله، إنها محترقة تتصاعد منها رائحة اللحم المحترق!

صرخت سالي متوسلة:

- أرجوك توم، المشفى الآن أرجوك، الألم لا يحتمل.

لكنه هز رأسه أن لا، لا يستطيع وقال لها وهو يقترب منها بتوتر شديد:

- لا يمكنك الذهاب إلى المشفى، لن يستطيعوا مساعدتك، إن جميلة...

لكن قاطعته صرختها المدوية.

***

استيقظت سالي في فراشها، لا تذكر شيئًا. مرهقة للغاية، كل عظمة بجسدها تئن في ألم من آثار ولادة متعثرة لم يساعدها أحدهم بها، تلفتت حولها بإرهاق، فوجدتها هناك، لفافة صغيرة وردية اللون، تتحرك بحركة عصبية، طفلة صغيرة جميلة.. إنها جميلة!

اعتدلت في الفراش بصعوبة وزحفت حتى وصلت للطفلة الرقيقة واحتضنتها برفق شديد، شعرت أن الصغيرة تبتسم لجزء من الثانية فقبلت جبهتها الصغيرة. شعرت بحركة على باب الغرفة، فرفعت رأسها بخوف، إنه توم. انكمشت سالي بحركة عصبية في الفراش لكن توم أشار بيده لها أن تهدأ وقال لها بخفوت:

- اهدأي سالي، أنا لن أؤذيكِ.

قذفته سالي بكوب.

- ابتعد عني!

صرخ في وجهها:

- اهدددأي، أنا لا أستطيع أن أؤذيكِ، حتى وإن أردت ذلك.

قالت له همسًا بذعر:

- ماذا فعلت بي؟ بماذا كنت تحقنني؟ أردتَ أن تحولني لمسخٍ آخر مثلما فعل أباك المخبول بإيمي؟

صرخ بهامجددًا:

- لا أستطيع تحويلك إلى مسخ.. لأنكِ مسخ!

اتسعت عينيها بقوة وهي تنظر له، بينما جلس هوأرضًا مستندًا للحائط وقال لها:

- لا أنكر أنني حاولت بعدما أخذت موافقة القاعدة بإعادة إحياء التجربة معك، لكنني فشلت.

وأطلق زفرة حارة قائلًا:

- إن خلايا أجساد الفضائيين لا تتقبل مثل هذا التحور الجيني.

برقت عيني سالي في عدم فهم، بينما أكمل توم حديثه وهو ينظر إلى يده المضمدة:

- في البداية، كنتِ بالنسبة لي الشخص المناسب لبدء التجارب، حماسكِ لاقتحام حياتي، وحدتك، غياب من يهتم ببقائكِ على قيد الحياة من عدمه، كانت بمثابة مغريات قوية لاختياركِ للتجربة. عندما بدأت وضع العقاقير بمشروب الشكولاتة الخاص بكِ، لم أحصد سوى الاحباط، إن جسدكِ لم يكن يستجيب لأيٍّ من عقاقيري رغم قوتها وإثباتها لنجاحها من قبل مع فئران تجاربي. كدتُ أجن! أي جسد هذا الذي يرفض كل هذه المحفزات بتلك الضراوة! حتى قررت أن أخدش ساعدكِ بظافري وآخذ عينة من أنسجة جسدكِ لأفحصها في معملي. وهناك اكتشفت طبيعتك! إن ما وجدته يفسر كل شيء، لا عجب أن حرارتك

مرتفعة لدرجة لا تصدق، حرارة غير بشرية، حتى أنكِ كنت لا تطيقين حرارة جسدي التي تبدو لكِ ثلجية رغم اعتدالها. إن وجودكِ ذلك اليوم مع الصبية لم يكن من محض الصدفة يا سالي، أنتِ لم تكوني الضحية هناك، لقد كنتِ بانتظارهم هناك في الظلام وأنتِ تعلمين أنهم سيتبعون غريزتهم ويتبعونكِ خارج دائرة البشر. لقد قمت أنا بإنقاذهم من مصير أسود لا يعلمه سوى الرب! سواء ذلك الذي توفي أو الآخر الذي فر هاربًا.

في الواقع، إن فصيلتكِ عبارة عن مجموعة من الطفيليات الفضائية التي لا تستطيع العيش خارج أجساد البشر طويلًا. لا تفنى ولا تموت! عمرها من عمر الأرض نفسها، تنتقل بين الأجساد البشرية وتستحوذ عليها، تتزاوج مع البشر وينجبون أيضًا، أطفالًا نصف بشريين ونصف فضائيين. لا ذاكرة لكم، تستحوذون على البشر بحياتهم وذكرياتهم ومشاعرهم.

قاطعته بصوت متقطع:

- ما... إن هذا هراء! ما الذي...؟!

أكمل حديثه متجاهلًا كلامها:

- وعندما علم الرؤساء في القاعدة بفشل التجربة لأن حظى العسر قادني لاختيار طفيلي فضائي من بين ملايين البشر، سال لعابهم للحصول عليكِ واقتنائكِ ودراستكِ، بل ودراسة طبيعة ثمرة التزاوج بين نوعكِ ونوعي.. جميلة. لقد كنت أحقنكِ بعقاقير تضعف من قدراتك الجسدية حتى أستطيع السيطرة عليكِ لحين حلول موعد ولادتكِ، حينها كانت وكالة نيفادا بطاقمها الطبي سيتولون عملية السيطرة عليكِ، أنا لا أستطيع أذيتكِ، ولا يستطيع أحدهم أذيتك، أظن أنكِ رأيتِ ماذا حدث لذلك الرجل الذي كان يهدد حياتكِ.

أخذت تهز رأسها نافية كلامه ودموعها تنهمر بغزارة. إنه كاذب، مجرد كاذب مختل عقليًا أتلفت الوحدة عقله، إن هذا جنون، إنها بشرية، إنسانة طبيعية

يحاول هذا المخبول أن يضللها. مر أمام عينيها شريط ذكريات طفولتها وهي بالمدرسة، ثم حياتها في منزل خالتها، ثم هروبها مع صديقها ثم التحاقها بعملها في هذا المكتب، وقالت له بصوت متقطع:

- كاذب، أنا لست من تحاول أن تقنعني به، لطالما كانت حياتي طبيعية وذكرياتي و...

قاطعها قائلًا:

- هذه ذكريات سالي، الجسم العائل لكِ، لقد استوليت على جسدها وذكرياتها كذلك، لا أعلم في أي حقبة من حياتها قمتِ أنتِ بالاستيلاء على جسدها.

ثم نهض واقترب منها قائلًا:

- سوف أثبت لكِ سالى.

ونشب أظافره في ذراعها بقوة محدثًا جروحًا دامية تألمت على إثره سالي، وسقط توم أرضًا متألمًا هو الآخر. نظرت له وهو ينكمش حول نفسه ونهضت حاملة الطفلة التي تبكي بصوت رفيع مزعج، استندت على الحائط واتجهت لباب المنزل، مدت يدها لتفتحه، لكنها توقفت وهي تنظر لذراعها المصابة، لقد اختفت الجروح!

***

**سبتمبر 2018..**

تأملت سالي جميلة بامتنان، ومدت يدها تعدل من وضع شعرها الأسود الغجري، ثم أمسكت يدها ليعبروا الشارع. رفعت جميلة عيونها الزرقاء تنظر للمبنى الضخم بانبهار ثم قالت بمرح طفولي:

- واااااو! أحب هذه المدرسة كثيرًا!

ثم احتضنت أمها قائلة:

- شكرًا مامي.. أحبكِ كثيرًا.

ربتت سالي على رأسها بحنان، وتقدمت من البوابة، فقابلتها المعلمة بابتسامة عريضة، وأعطت جميلة بالونة ملونة، فقفزت جميلة بسعادة غامرة وانطلقت حسب توجيهات المعلمة لتقف في الصف. انتحت سالي بالمعلمة جانبًا لتقول لها بود:

- إنه يومها الأولى بالمدرسة كما تعلمين، أتوقع أن تواجهوا بعض المشاكل قليلًا مع جميلة، إن غياب أبيها يسبب لها بعض المشاكل النفسية مثلماسبق وقلت لك.

Telegram:@mbooks90

هزت المعلمة رأسها بتفهم وقالت بابتسامة عريضة:

- لاتقلقي سيدتي، إن جميلة بأيدٍ أمينة تمامًا، هل تسمحين لي أن أسأل: أين أباها؟

هزت سالي رأسه بأسى وقالت:

- لقد توفي منذ ثلاثة أعوام.

- أووه! آسفة للغاية! المسكينة! لا تقلقي سوف أحرص على أن تقضي يومًا سعيدًا وألا يضايقها أحدهم.

ابتسمت سالي لها وتمنت في سرها ألا يضايقها أحدهم حقًا،حتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه. نظرت مبتسمة لجميلة التي تلعب مع الأطفال بمرح وأخذت تلتقط لها صورًا مع صديقتها. وقفت معلمة تنظر لسالي بفضول ثم شدت زميلة لها لتلفت نظرها لسالي وهمست لها:

- جين، هل رأيت هذا؟

- ماذا؟

- هذه السيدة عينها تلمع!

- نعم، إنها تملك عينان جميلتان بالفعل!

- لا أقصد ذلك، . عيناها... تعكسان ضوءًا غريبًا للغاية!

نظرت لهن سالي فجأة، فارتبكتا للغاية وخيل لهن أنها سمعت حديثهما رغم أنها تقف على بعد خمسة أمتار، فارتدت نظارتها السوداء ورحلت مسرعة.

تنفست المعلمة الصعداء وقالت لزميلتها لائمة:

- هلَّا توقفت عن الشراب أرجوكِ!

هزت المعلمة رأسها بخجل، ونظرت إلى جميلة التي وقفت تنظر لها نظرة خاوية غير مفهومة، وعكست عينها نفس البريق لجزء من الثانية ثم عادت تبتسم ببراءة.

**تمت.**

# القصة الثانية

# ذلك المنزل المجاور

**"إن زوجكِ يا سيدتي لهو أحمق بالتأكيد!**

**ألم يسمع عمّا يحدث لقاطني هذا المنزل؟"**

تأمل "ماثيو" عقد إيجار المنزل الذي أوشك أن يمضيه، ثم ارتدى عوينات القراءة ليرى أفضل، الكثير من الشروط والبنود التقليدية، لقد وقّع الكثير من عقود الإيجار في الخمس سنوات الماضية، اعتاد مثل هذه البنود، لا مانع من قراءتها، فأحيانًا يحتوي العقد على بعض البنود العجيبة. يذكر أنه في إحدى المرات اشترط عليه المالك في العقد ألا يستعمل غسالة الأطباق بعد منتصف الليل لأن صوتها يشعره بالتوتر ليلًا!

لكنه غالبًا لا يبالي كثيرًا بشروط هؤلاء المزارعين الأسكتلنديين غريبي الأطوار، بل ويقبل الشروط الأكثر غرابة، فهو يسعى لصنع ثروته الصغيرة من زراعة البطاطس، ويتنقل من مزرعة إلى أخرى بحثًا عن أرض ذات خصوبة عالية. وقد كانت هذه المزرعة هي جنته المنشودة هذه المرة.

شارف على الانتهاء من القراءة، البنود عادية للغاية ومكررة، الإيجار، الكهرباء، التليفون، تأمينات الخسائر. ثم استوقفه البند الأخير، فعدل من وضع عويناته وأعاد قراءته بصوت مرتفع:

- على المستأجر عدم إزعاج "آل ماكونهي" أو الاختلاط بهم.

ورفع عينه للسمسار ذو الشعر الأصهب متسائلًا. حكّ الرجل أنفه بعصبية وتحدث بلكنته الأسكتلندية التي يصعب فهمها:

- آل ماكونهي هم أصحاب هذا المنزل والمزرعة الملحقة به وهما يقطنان بالمنزل المجاور لك.

وفتح النافذة مشيرًا بإصبعه إلى منزل عتيق في الجهة الأخرى من المزرعة، فصمت "ماثيو" قليلًا وعاد ليقول:

- ألا ترى أنه شرطًا غريبًا نوعًا ما؟

- وما الذي قد يشغلك بالجيران على أي حال؟

- هل هناك شيءٌ يجب أن أعرفه عن هؤلاء القوم؟

- مستر آند ميسز ماكونهي، زوجان شابان، الفتى ورث هذه المساحة الخضراء برمتها من جده "آرثر مكونهي"، لكنه مريض بمرض ما لا أعلم حقيقته، إنه طريح الفراش لا يغادره ولم يسبق لي أن رأيته منذ بداية تعاملي معهم كسمسارهم الخاص، زوجته ربة المنزل تكاد تكون لا تغادر البيت إلا قليلًا لترعى أرضهم وهي من تقوم بأي تعاملات مادية أو أي معاملات تطلب الاختلاط عمومًا، لا أطفال

لديهم، منطويان للغاية، هذا هو كل ما أعرفه عنهم.

- لا أرى ما يريب بشأنهم، فهذه عادات الشعب الأسكتلندي بأكمله في الواقع!

لم يضحك الرجل على الدعابة، لكنه نظر بعينه من النافذة إلى منزل آل ماكونهي قائلًا:

- لم أقل أن هناك ما يريب بشأنهم..

- لكن الشرط غامض للغاية، أعني من الوارد أن أقابل السيدة صباحًا أو نزورهم أنا وزوجتي مساءً أو...

هز الرجل كتفه بلا مبالاة وغمغم مقاطعًا:

- السيدة "لي لي" هي من تحدد إذا كنتم جديرين بالتودد إليهم أم لا، لكن لا تسعَ أنت وزوجتك للتودد لها، هو شرط أساسي في العقد ولك حرية الاختيار، اقبله أو اتركه.

ثم مال على ماثيو وهمس مغريًا:

- لكن لا تنسَ أن تربة هذه المزرعة هي الأكثر خصوبة في "سانت اندروز"، والسعر مغرٍ للغاية.

ابتسم ماثيو ورمق الرجل، يا له من شيطان! إنه مُحق بالتأكيد.

أخذ القلم من الرجل ونظر في العقد، هناك في الصفحة الأخيرة مكان لتوقيع الطرف الأول مُزيل بتوقيع أنيق للغاية باسم: "لي لي ماكونهي". يقابلها مكان فارغ لتوقيع الطرف الثاني على العقد. فكتب اسمه: "ماثيو هاثواي".

وابتسم للرجل الذي اتسعت ابتسامته بدوره، ثم دخل معه يلقي نظرة أخيرة على المنزل قبل أن يذهب ليحضر أمتعته وزوجته سام من الموتيل، تقدمه الرجل وقد تقمص دور المرشد فسأله ماثيو وهو يتأمل الأثاث النظيف الفاخر

نوعًا ما:

- هذا الأثاث ملك آل ماكونهي؟

- لا، إنه ملك للأسرة التي كانت تقطن المنزل هنا قبل.

توقف ماثيو ونظر إلى الرجل ثم قال:

- قلت أن المنزل لم يستأجره أحد منذ فترة طويلة!

- لم يمكثا طويلًا، بضعة أسابيع فقط.

- لمَ لا يزال هذا الأثاث هنا؟

- لا أعتقد أنهم بحاجة إليه.

- ولمَ؟

- المستأجر السابق في مصحة ادنبرة النفسية الآن.

عقد ماثيو حاجبيه بتوتر ثم تذكر أنه أمر لا يعنيه، فهز رأسه وجرع رشفة من زجاجة المياه بينما أكمل السمسار كلامه ببساطة وكأنه يخبره بدعابة مسلية:

- بعدما ماتت زوجته وطفله.

بصق ماثيو ما كان يجرعه أرضًا وجفف فمه في توتر قائلًا:

- ماتوا هنا في المنزل؟!

- نعم، ماتت السيدة وهي تلد طفلها.

- ولهذا السبب انخفض سعر إيجار المنزل؟

هز الرجل كتفيه وقال:

- بالتأكيد! نحن في قرية صغيرة يا سيدي، مثل تلك الحوادث حتى وإن بدت

طبيعية في أي بقعة بالعالم سينسج أهل القرية هنا المئات من القصص عن الشؤم الذي يحيط بالمنزل وما إلى آخره، مما اضطر السيدة لي لي إلى عرض المنزل للإيجار بهذا السعر البخس فقط حتى تكسر دائرة النحس هذه.

صمت ماثيو قليلًا وكأنه يعيد التفكير في أمر المكوث هنا، لكن الرجل لم يمهله وقتًا للتفكير وأكمل جولته لغرفة صغيرة هي آخر ما تبقى في المنزل وقال :

- وهذه غرفة نوم تصلح للأطفال

ثم توقف برهة ونظر بفضول لماثيو وسأله:

- هل لديكما أطفال بالمناسبة؟

تأمل ماثيو ورق الحائط المزخرف الذي يزين جدران الحجرة:

- زوجتي حامل في شهرها الثالث.

- ستكون هذا الغرفة مناسبة لمولدكم إذن، فهي أبعد ما يكون عن جهة بيت آل ماكونهي، فقط تطل عليه بزاوية جانبية.

كاد ماثيو يسأله عن السبب، فسارع الرجل مفسرًا:

- الأطفال حديثي الولادة يبكون كثيرًا كما تعلم، هذه الجدارن ليست بعازلة للصوت مثل تلك المنازل الحديثة بالمدينة، أنت تعلم هذه الأمور.

تجاهل ماثيو الملحوظة الحمقاء، فمنزل آل مكونهي يبعد عنهم بعدة أمتار على كل حال، ومط شفتيه ثم خرج من الغرفة شاردًا، أنهى جولته السريعة واستلم مفاتيح المنزل وانطلق عائدًا للموتيل الذي ترك فيه زوجته العزيزة "سامنثا". ولم ينسَ بالطبع أن يخبر السمسار بعدم إعادة قصة تلك الأسرة على مسمع زوجته حين تحضر.

***

انتقل الزوجان إلى المنزل، لم تستطع سامنثا إخفاء انبهارها بجمال المنزل من الخارج، رغم أنها حاولت عدم إبداء أي حماس، فهي تكره فكرة التنقل بين المنازل كل حين. لكن هذا المنزل الخشبي كان مبهرًا للغاية بالفعل، وفاق كل توقعاتها في الواقع، رغم كونه بناء قديم، إلا أن المنزل جميل ونظيف من الداخل، والأثاث على درجة عالية من الرقي، ثم كل هذه المساحات الخضراء التي صار نصفها ملك لهما، بينما يمتلك نصفها الآخر آل ماكونهي.

حسنًا، لقد أحبت المكان بالفعل.

أخذت تتجول بين الغرف وهي تتحدث لجنينها مثلما اعتادت مؤخرًا:

- انظر عزيزي إلى الأثاث، كم هو رائع! تعالَ لنرى هذه الغرفة الصغيرة.

دلفت لغرفة الأطفال، صغيرة ودافئة، يحتل الجدار الأيسر منها نافذة عملاقة تطل على منزل آل ماكونهي، ورق الحائط فائق الجمال، أفيال كارتونية باللون الرمادي الهادئ تحلق في خلفية باللون السماوي.

- هل أحببت غرفتك يا حبيبي؟ انظرَ إلى رسومات الأوراق الجميلة.. لكن مهلًا.. ما هذا؟!

تدلى طرف إحدى أوراق الحائط بإهمال، فيما يبدو أن الغراء الذي كان يلصقها لم يكن بالكفاءة اللازمة، اقتربت من هذا الطرف وحاولت أن تعيد لصقه، فوقفت على أطراف أصابعها وهي تمد ذراعها لأعلى لتلصق الورقة، التصقت الورقة، فاتسعت ابتسامة "سام"، لكن الورقة لم تصمد كثيرًا في مكانها وسرعان ما تدلت مجددًا بهدوء. نفخت سام بضجر قائلة:

- حسنًا، بعض الغراء كفيل بإصلاح هذه الفوضى.

ثم لاحظت شيئًا ما...

***

هبط ماثيو إلى القبو بحثًا عن الأخشاب الذي أخبره السمسار بوجودها، الجو قارص البرودة، الدماء تتجمد في العروق، ربما وجبة ساخنة من أكلات سام الشهية وبعض هذه الأخشاب في المدفأة، ثم عليه أن يستعد لاستقبال بائع الأسمدة الذي سوف يأتي ليجلب له الأسمدة والبذور التي يحتاج إليها.

ما هذا؟!

وقف حائرًا ينظر إلى المسند الخشبي الذي يرتكز على ثلاثة قوائم ذا النقوش الخلابة لقدمي طائر مخلبية، تحسس النقوش البارزة في الخشب الأبنوسي الأسود، ترتفع العصا بارتفاع نصف قامته، أي ما يقرب من المتر ونصف، ثم يرتكز فوقها عارضة خشبية أخرى على شكل غصن شجرة عريض. الإضاءة خافتة للغاية، لكنه يستطيع أن يجزم أنه يقف أمام تحفة فنية. تحفة لا يعلم ما هو الغرض منها أو ما هو استخدامها! ولماذا هي هنا في القبو! ولمَ لم تنضم لأثاث المنزل العامر بالتحف الكلاسيكية؟

انشغل فكره بهذا الذي وجده حتى أنه نسي تمامًا أمر الأخشاب، وصعد إلى المنزل بدونها، كان ذلك حين سمع سام تناديه.

نظر ماثيو إلى سام التي وقفت تتأمل الجدار بعدما نزعت عنه ورقة الحائط إلى نصفه تقريبًا ليظهر هذا الشيء الذي اختبأ هناك، نقوش طفولية تختبئ خلف ورق الحائط. طفولية أو بدائية، لا تدري في الواقع. رسومات بلون أحمر قانٍ تتمثل في دائرة وبداخلها ثلاثة أشخاص متباينين الأحجام، بينما هناك شكل ما مبهم خارج الدائرة.

احتضن ظهرها وقبل رأسها وشاركها تأمل الجدار قائلًا:

- كيف وجدتِ هذا الشيء؟

- سقط ورق الحائط ليكشف سرها.

- غريب، أليس كذلك؟

-بالتأكيد، إنه ساحر. إلى ماذا تشير هذه الرسومات برأيك؟

- لا أعلم حبيبتي، لكنها تبدو بالغة القِدم، ربما من عمر هذا المنزل نفسه.

هزت رأسها وخرج بخار الماء من فمها على شكل سحابة، فتذكرت وقالت له:

- أين أخشاب المدفأة؟

خبط رأسه مفتعلًا الندم، وقال لها أن تذهب للقبو لتحضرهم هي وأن تنظر إلى ذلك الاكتشاف الذي وجده أيضًا.

- أي اكتشاف هذا؟

- تحفة كلاسيكية ستطير عقلك.

غمز لها بعينه ثم قبّل رأسها مرة أخرى، وخرج ليستقبل بائع الأسمدة الذي كان بانتظاره.

وضع له العامل العجوز عدة حقائب عملاقة من السماد العضوي المستخدم للزراعة وأعطاه بعض النصائح عن زراعة البطاطس وأفضل المواسم وما إلى آخره، لم يكن ماثيو في حاجة لكل تلك النصائح، لكن حياءه منعه من إحراج العجوز، فأخذ يستمع له بملل راسمًا على وجهه الاهتمام.

أدار ماثيو رأسه تجاه مزرعة آل ماكونهي، فوجد جارته الشابة تخرج من خلف الأشجار، تسقي مزروعاتها وهي تتأمله بعين لا تطرف، حياها ماثيو بهزة رأس مهذبة وبادلته الفتاة شديدة الجمال التحية، وقف عامل السماد بجواره ومسح جبهته من العرق قائلًا:

- غرباء الأطوار جيرانكم هؤلاء، لم يسبق لهم أن ابتاعوا أي أسمدة من تجار المدينة، ومع ذلك أرى محصولهم مزدهرًا للغاية، إننا لا نحبهم كثيرًا في الواقع.

- لا تحبونهم! من تقصد؟

- نحن أهل "سانت اندروز"، رغم أنهم أسلاف سير آرثر ماكونهي، عمدة البلدة السابق، لقد كان رجلًا محبوبًا للغاية هو وزوجته.

- لماذا لا تحبونهم إذن؟

- لا أعلم، منطويان للغاية، وغرباء الأطوار كما قلت لك، لقد كان المنزل مغلقًا لسنين طويلة للغاية، ثم جاء هؤلاء ليزعموا أنهم أقارب آل ماكونهي.

- يزرعان التفاح؟ هممم.. اختيار غريب في منطقة لا يزرع سكانها سوى البطاطس!

- ولا يبيعان محصولهما في أسواقنا كذلك.

نظر له ماثيو بفضول وعاد يراقب الفتاة التي غطى شعرها الأحمر الناري وجهها وقد انحنت برشاقة لتلتقط حبات التفاح المتساقطة وتضعهم في سلة عملاقة ثم تعود لداخل المنزل. قال في حيرة:

- أين يذهب كل هذا المحصول إذن؟

هز العجوز كتفه بحيرة قائلًا:

- بالتأكيد يدبران أمر تصديره لأحد التجار من البلاد المجاورة بضعف السعر، يا لهم من شياطين!

نظر له ماثيو وابتسم ثم انشغل بفحص الأسمدة، إن آخر ما يشغل باله هو الاهتمام بخصوصيات الآخرين. حامت حولهم بومة ذات ريش كستنائي اللون، ثم وقفت فوق السور الفاصل بين حديقته وحديقة جيرانه، فحاول البائع العجوز أن يزجرها بعيدًا، لكن ماثيو أوقفه قائلًا:

- ما بالك يا رجل! إنها مسالمة للغاية!

- البوم نذير شؤم يا بني!

قال له ماثيو وهو يقترب منها بهدوء شديد:

- أنا لا أصدق هذا الهراء، انظر كم هي وديعة..

وضع إصبعه على جناحها برفق، فنظرت له بعينيها الخضراء بهدوء، تجرأ أكثر ووضع كفه يداعب ظهرها، طارت البومة ودارت دورة كاملة حوله ثم استقرت على ذراعه وأخذت تنظف جناحها بمنقارها. تهللت أساريره وأخذ يلمس رأسها بخفة، وقد قرر أنه اكتسب الصديق الأول له في هذه البلدة.

***

بينما كان ماثيو مع بائع الأسمدة، شعرت سام بالبرد يزحف على عمودها الفقري، فنزلت بخفة للقبو، لم يكن القبو مظلمًا كما توقعت، فبصيص من النور يتسلل من نافذة عالية يكشف محتويات المكان التي لم تكن كثيرة في الواقع، وكان هذا شيئًا مريحًا للغاية، هي بالتأكيد لا تريد أن يقفز عنكبوت عملاق على شعرها من مكان ما.

حسنًا، هذه هي الأخشاب التي تحدث عنها زوجها، انحنت لتحمل ما تستطيع منها، وهناك مسندٌ يرتكز على ثلاثة قوائم للطيور يبدو بالغ القِدم، لعل أحدهم كان يربي ببغاءً قديمًا، ثم لفت نظرها صندوقٌ صغير يبدو عليه القدم، ملقًى بإهمال في ركن القبو، اقتربت منه ببطء، لعل هذا ما تحدث عنه ماثيو!

عبثت في هاتفها الجوال لتشعل كشافه، تألق النور الساطع ليحرق شبكية عينيها التي اعتادت الظلام، محتويات الصندوق محدودة أيضًا، هناك برواز متهالك يحيط بصورة فوتوغرافية قديمة للغاية، رجل شاب تقف بجوار امرأة حسناء للغاية يبدو من طراز ملابسهما أن هذه الصورة تعود لبداية الخمسينات وربما أقدم، وجدت توقيعًا المصور أسفل الصورة:

**آرثر ودارلا ماكونهي، 1951..**

**تصوير: مايكل أندرسون**

هممممم، إذن هولاء هم أحد ملاك البيت السابقون، ربما أجداد جيرانهم الغامضون الذين لا يحبون الاختلاط كثيرًا. هزت الصندوق بفضول، فوجدت قلادة ذهبية، نصف قلب صغير، عادت تتأمل الصورة مرة أخرى بتمعن على ضوء كشاف هاتفها، السيدة ترتدي القلادة ذاتها! شعرت بقشعريرة، تلك القشعريرة التي تنتابنا جميعًا عندما نلمس شيئًا بالغ القدم، هذه قلادة تعود ملكيتها لسيدة من الثلاثينات، اكتسبت القلادة حضورًا معنويًا بطبيعة الحال، طردت هذه الهواجس من تفكيرها حتى لا تتوتر، وعادت تتأمل الصور، السيدة جميلة للغاية، شقراء ذات ملامح قسيمة و...

" تررررررررن"

قاطع أفكارها الصوت فانتفضت، وكاد قلبها يقفز ليخرج من فمها رعبًا، ثم عادت لرشدها، إنه الهاتف اللعين يرن بإلحاح، لا بد وأنه ماثيو، حتمًا شعر بالقلق لأنه لم يجدها في المنزل، أسرعت بحمل الأخشاب وتركت الصندوق.

***

جلسا على مائدة الطعام يتناولان وجبة أعدتها سام على عجل وأخبرته أنها وجدت الصندوق الذي تحدث عنه هو، فسألها عاقدًا حاجبه:

- أي صندوق هذا؟ كنت أقصد ذلك المسند الخشبي العجيب.

- تقصد مسند الطيور؟

رفع حاجبيه مستفهمًا، فهو لم يكن يعلم عن طبيعة استخدامه، فشرحت له أن هذا يستخدمه من يقتنون طيورًا بداخل المنزل. فتذكر ماثيو ما حدث منذ قليل بالخارج وقص عليها عن صديقته الجديدة ذات الشعر الكستنائي.

فابتسمت ابتسامة صفراء، لم تحب سام الحيوانات مطلقًا، لكنها كانت تخجل من إخبار ماثيو عن مشاعرها الدفينة ضد أصدقائه غير الآدميين حتى لا يتهمها بالسخف. شعرت بامتنان شديد لأنه اضطر أن يترك قطته مع أخيه في الولايات المتحدة بعدما أقنعته جاهدة أنها تعاني من حساسية القطط. لذلك وقفت تتأمله بغل شديد وهو يمسح مسند الطيور من طبقة الغبار الذي تغطيه بعدما أحضره من القبو وقام بوضعه في منتصف الغرفة، ثم سألته بهدوء بذلت جهدًا رهيبًا لتستحضره:

- ماذا تفعل عزيزي؟

فابتسم لها وصمت، ثم اتجه إلى النافذة وفتحها على مصراعيها ومط شفتيه مصفرًا، ثم انتظر بضع دقائق، لم يحدث شيئًا، كادت تقول شيئًا فهمس له منذرًا:

- صه! إنها خجولة بعض الشيء، لا تحدثي الكثير من الجلبة.

همست قائلة:

- من هي؟!

وقبل أن تعيد سؤالها، سمعت صوت رفرفة أجنحة ووجدتها تحلق خارج المنزل وتقترب حتى استقرت على طرف النافذة، وقفت البومة الكستنائية على طرف النافذة تهرش جناحيها بمنقارها، بينما جلس كل من ماثيو وسام أرضًا متجاورين يتأملانها، لم تحبها سام كثيرًا، لكنها كانت ترى الحماس في عيني ماثيو فصمتت. نهض ماثيو ببطء وأحضر بعض الحبوب على صحيفة وطبق به بعض الماء ليضعه بجوارها، مدت منقارها تتشمم الحبوب ثم بدأت تأكل قليلًا، تأملتها سام بتقزز وقالت:

- مخيفة!

قال لها وهو يتأمل البومة بفخر:

- حبيبتي، إنها ساحرة بالتأكيد، المسكينة تبدو جائعة للغاية، لكنني أريدها أن تدخل بداخل المنزل.

اقترب منها بهدوء شديد، وسحب الصحيفة ليضعها على أرض الغرفة بجوار مسند الطيور ليجبرها أن تدخل البيت قائلًا همسًا:

- يمكننا أن نخصص لها هذا المسند هنا بجوار النافذة، لقد قرأت كثيرًا عن كيفية استئناسها وقد وجدت في بعض الصور على جوجل أن هناك...

قاطعته سام بعصبية وقد فاق كل هذا احتمالها:

- أما هذا فلا.. أنا لن أسمح بدخول هذا الكائن المقيت إلى منزلي، كما أنها...

طارت البومة بعنف مسرعة وبعثرت بعضًا من ريشها وما تبقى من حبوب على رأس سام الجالسة أرضًا، فنهضت غاضبة تسب الطائر وسط ضحكات ماثيو الذي استلقى على ظهره أرضًا غارقًا في نوبة من الضحك وأخذ يصفق بكفيه. شعرت سام بسعادة دفينة لرحيل هذا الشيء المقيت أخيرًا. لكنها في المساء عادت لتدق منقارها على زجاج النافذة مجددًا.

***

مرت الأيام بطيئة، انشغل ماثيو بين أمور الزراعة التي يجيدها منذ طفولته وبين رعايته لصديقته الأليفة الجديدة، التي تأتي في زيارات ليلية ليقضي معها ساعات طويلة، يتأملها ويلتقط لها عشرات الصور كطفل سعيد ويداعب جناحيها فتغفو وهي واقفة مكانها بامتنان شديد. بينما بدأ الضجر يتمكن من سام التي أمضت وقتها بين مشاهدة فيديوهات عن تعلم فن التريكو وترتيب المنزل وتغيير موضع أثاثه، على سبيل تمضية الوقت.

وذات صباح، ذهب ماثيو إلى المدينة بينما خرجت سام لتتجول وسط المزرعة قليلًا، قادتها قدمها لحديقة منزل آل ماكونهي. دفعت الباب الخشبي

الفاصل بين الحديقتين ودخلت بهدوء. تذكرت ملحوظة ماثيو العابرة عن عدم إزعاجهم، لكنها تقدمت بضع خطوات أخرى بدافع الفضول. تأملت كل هذه الأشجار المتشابكة، الكثير من التفاح المتساقط، معظمه ناضج مغرٍ للقضم، أخذت ثمرة شديدة الحمرة وكادت تأكلها، ثم شعرت بالخجل من نفسها، ها هي تتسلل لحديقة الجيران كالأطفال مثيري الشغب وتسرق ثمارهم!

وضعت التفاحة أرضًا وتقدمت أكثر وأكثر حتى وجدت نفسها أمام البيت المكون من طابقين، إنه ليس خشبيًا مثل منزلهم، لكنه بالغ القدم أيضًا، إنه ضخم ومهيب، شعرت أنها مثل النملة الدقيقة التي تقف أمام قدم فيل عملاق. رفعت قبضتها بتردد وطرقت الباب عدة مرات، لكن لم يأتها أي رد، همّت بالانصراف، لكن لحظة، التقطت أذنها صوت موسيقى ساحرة تنبعث من الداخل، إذن أحدهم بالداخل! لماذا لا يفتحون الباب؟

فدارت حول المنزل نصف دائرة حتى اقتربت من النافذة الخلفية التي قدرت أنها مصدر الموسيقى، ووقفت على أطراف أصابعها فوق حفنة من الصخور لتنظر بفضول إلى داخل المنزل.

منزل قاتم قليلًا، لا يدخله ضوء الشمس بصورة جيدة، رأت فيما يبدو عجلات لكرسي متحرك، الإضاءة ضعيفة نوعًا ما بداخل الغرفة، لكنها يمكنها أن تميز رجلًا يبدو هزيلًا للغاية، تدلى رأسه على صدره، كان يبدو أنه نائم، اقتربت لترى أفضل فانزلقت قدمها لتحدث دويًا مكتومًا، رفع الرجل رأسه ببطء شديد ونظر إليها، فبرقت عيناه بذعر عندما رآها، وتحركت شفتاه ليقول شيئًا...

- تبحثين عني؟

أجفلت سام وكاد قلبها يتوقف هلعًا وهي تستدير بعنف لمصدر الصوت بدهشة حتى أنها كادت تسقط أرضًا. كانت السيدة الحسناء تقف خلفها مباشرةً، تبدو في منتصف الثلاثينيات، شديدة الجمال، شعرها الأحمر المموج يغطي أردافها،

ووقفت مستندة لشجرة قريبة تراقب سام بعينين خضراء واسعة. ضحكت سام في بلاهة وقالت:

-يا إلهي! لقد كدت أموت هلعًا!

ومدت يدها لتدلك بطنها وهي تنظر إليها قائلة:

- لا تقلق يا عزيزي، إنها جارتنا الحسناء فقط.

مدت السيدة يديها لتغلق النافذة باحتجاج مهذب على فضول سام وقالت لها:

- آسفة، لم أقصد إخافتك.

احمرت أذني سام خجلًا وقالت:

- لا لا.. لا داعي للاعتذار، فأنا من تسللت إلى داخل حديقتكم في الواقع.

ثم حاولت أن تكسر برودة الموقف، فمدت يدها بسلام قائلة:

- "سامنثا".. الجارة الجديدة.

مدت السيدة يدها لتصافح سام بهدوء:

- "لي لي"، رأيتكم وأنتم تنقلون الأثاث إلى داخل المنزل الأسبوع الماضي.

ابتسمت وهي ما زالت ممسكة بيد سام ثم قالت لها:

- إنها فتاة، وليس صبيًا.

- معذرةً!

- إنك تحملين فتاة.

نظرت لها سام بدهشة قائلة

- أنا لا أعلم بعد، ما زلت في شهري الثالث، كيف عرفتِ؟

- يديك ناعمة للغاية، تقول الجدات أن ذوات الأيدي الناعمة دائمًا ما ينجبن فتيات جميلات.

ضحكت سام وبدت لها لي لي لطيفة نوعًا، ما فقالت لها بحماس.

- أعتذر مرة أخرى عن تسللي، لقد كنت أريد مقابلتكِ فقط، تعلمين المكان ممل ولا أجيد التريكو كثيرًا.

ضحكت لي لي وأشارت بكفها أن تكف عن السخف قائلة:

- لا عليكِ. الأجواء في سانت اندروز هادئة للغاية، بالتأكيد لا تناسب من اعتاد صخب الولايات.

ابتسمت سام وقالت لها:

- حقًا، لمَ لا تأتين لاحتساء كوب من القهوة؟ لقد خبزت كعكة البرتقال يمكننا أن نتحدث قليلًا إذا كنتِ لا تمانعين.

- في منزلكِ؟

و صمتت لي لي قليلًا ثم نظرت إلى باب منزلها هي وكأنها تفكر في شيء ما. ألحت عليها سام:

- لن نتأخر، إذا كنتِ تقلقين بصدد زوجكِ.

ابتسمت لي لي قائلة:

-أنتِ تقرئين أفكاري، لا أريد أن أترك آدم زوجي بالفعل، إنه قعيد مثلما رأيتِ.

- لن ننتأخر.. أعدكِ.

عادت لصمتها بضع ثوانٍ، ثم حسمت أمرها بابتسامة واسعة:

- لمَ لا! لم يدعُني أحدهم لمنزله منذ قرون.

تهللت أسارير سام، فهي كانت قد قاربت أن تفقد الأمل في قدوم زوار لهذا المنزل المنعزل، فيما بعد يمكنها أن تنشغل في التفكير بهذا الرجل القعيد، وربما سألت الفتاة إذا سنحت لها الفرصة.

مضت السيدتان في طريقهما إلى بيت سام، مروا بجوار نافذة حجرة الأطفال المفتوحة حين التفتت لي لي وألقت نظرة سريعة على الغرفة، وتعلقت عينها بالرسومات على الحائط، ويبدو أنها أطالت النظر أكثر مما ينبغي، فاصطدمت قدمها بحجر في الأرض لم تره.

- اااااي!!

تقافزت لي لي مثل كرة السلة من شدة الألم، وجلست على حافة الأرجوحة تتأمل إصبعها الذي اصطدم بالحجر وقد سالت منه الدماء. وانحنت سام لتحاول فحص ساقها لكنها أبعدت ساقها بعصبية قائلة:

- لا داعي، أنا بخير. أعتقد أنني بحاجة لبعض المطهرات ومكعبات الثلج لا أكثر.

انحصر الثوب عن ساق لي لي قليلًا، لاحظت سام أن ساقها مليئة بالشعر الكثيف، لكنها تظاهرت بعدم الملاحظة حتى لا تحرج ضيفتها.

نهضت لي لي وقالت أنها ستنصرف لمنزلها حتى تداوي الجرح، حاولت سام أن تقنعها بالدخول واستخدام مرحاضها أو حوض الاستحمام لتطهيره ومن ثم تمضية الأمسية سويًا، لكنها أصرت على المضي ووعدت سام أنها ستعود في المساء ليكملوا أمسيتهم. لكنها لم تعد، ونسيت سام الأمر برمته حتى أنها لم تخبر زوجها بمغامرتها الصباحية.

***

انحنى ماثيو يتأمل الأوراق الصغيرة التي نمت على استحياء في التربة،

وجدها مثقوبة وتقف عليها يرقة مكتنزة نوعًا ما، انتقل إلى بقعة أخرى وتأمل أوراقها فوجد العشرات من هذه الحشرات، تأكل في الأوراق بجشع. لطالما تقزز من تلك الحشرات المقيتة التي تفسد المحاصيل، الأسوأ أنه لم يقابل هذا النوع من الحشرات من قبل، سيحتاج منه الأمر لمجهود إضافي وقراءات متعددة ليعلم نوع هذه الحشرة وكيفية مكافحتها و...

- إنها يرقة الكريستال ذات الوجهين.

أجفل من الصوت واستدار في حدة ليرى صاحبة الصوت الساحر التي تستند إلى شجرة قريبة بالحديقة وتبتسم. نهض وقال لها بتعجب:

- من أين أتيتِ؟

-ضحكت وقالت:

- من أين تخالني قد جئت مثلًا؟ من الشجرة؟ جئت من باب الحديقة لكنك لم تشعر.

ابتسم بحرج:

- أقصد أنني لم أشعر بحفيف أقدامك.

وعاد ينظر إلى الحشرة المقززة متسائلًا:

- ذات الوجهين؟

هزت رأسها وقالت له:

- إنها تصيب محاصيل كثيرة، يعتقد البعض أنها مجرد يرقة مسالمة أخرى، ولا يهتم المزارع بمقاومتها، ربما تخدعه بشكلها البراق الجميل، لكنها حينما تطمئن لفرض سيطرتها، تتكاثر بسرعة وتحكم قبضتها على الزرع، من ثم تبدأ في استنزافه وامتصاص الحياة منه، وحينما يصبح هشًا وفي أضعف حالاته...

فرقعت أصابعها وابتسمت:

- تقضي عليه في غضون أيام. البداية تكون الأصعب دائمًا كما تعلم.

امتعض ماثيو وقلب شفتيه وهو يتأمل اليرقة على تلك الورقة التي يضعها على راحته:

- اسم غريب كذلك!

اقتربت منه برأسها الدقيق وانحنت تتأمل ما كان يتأمله وأشارت بإصبعها البلوري:

- إنها دائمًا ما تختبئ وراء مظهرها البريء ولونها الأخضر المبهج، فأطلق عليها العلماء "ذات الوجهين".

تطاير شعرها الأصهب الناري مع الهواء ففاح عطرها القوي وداعب أنفه بشدة حتى كاد يطير عقله، بينما لمست هي كفه بإصبعها وتلاقت عيناه بعينيها الخضراء فشعر بقشعريرة غريبة.

رباه! يا لها من فتاة! ما أشد الانطباع الذي تتركه في النفس!

وعلى رغم من كونها ساحرة، لكن شيئًا ما فيها كان منفرًا للغاية. سيطر على انفعالاته بصعوبة وابتعد خطوة للخلف، فاعتدلت هي في وقفتها وابتسمت، ثم ألقت عليه التحية وانصرفت في هدوء تاركةً في نفسه العديد من الهواجس.

***

جلس ماثيو على طرف الفراش يتأمل سام زوجته الحبيبة وهي تمشط شعرها الأشقر الطويل أمام المرآة.

- أحب شعركِ كثيرًا..

ابتسمت ونظرت له في المرآة وقالت:

- كلما فكرت في قصّه، تذكرت كم تحبه طويلًا فأبعد الفكرة عن عقلي في الحال.

- حبيبتي، إذا كنت تشعرين بالملل أو ترغبين في التجديد لمَ لا تفكرين في تغيير لونه؟

تحمست للفكرة وصفقت بكفها كالأطفال قائلة:

- حسبت أنك لن تحب ذلك!

نهض من مجلسه وقبل كفها الرقيق هامسًا:

- سامنثا هاثواي، أنا أحبكِ في كل الأحوال.

ثم بدأ يعد حقيبته ويستعد للسفر للولايات المتحدة بينما هي تنظر لشعرها قائلة:

- هل يناسبني اللون الأحمر؟ مثل جارتنا الحسناء..

وضحكت بخبث، فابتسم قائلًا:

- كما يحلو لكِ حبيبتي.

عقدت حاجبيها متظاهرة بالغضب الضاحك:

- هل تراها حسناء؟

أغلق حقيبته وقائلًا حائرًا:

- لا أعلم، هي بالطبع حسناء لكن شيئًا مريبًا يتعلق بها، شيئًا لا أستطيع وصفه، أنتِ لم تقابليها، فلن تفهمي ما أقول..

صمتت ولا تعلم لمَ لم تخبره أنها في الواقع التقت بها منذ أيام، لكنها لم تشعر بما يقوله، مجرد امرأة حسناء، قد تكون منطوية قليلًا أو غير اجتماعية، لكن لا

شيء يريب بصددها.

أعدت سام له الإفطار، فتناوله على عجل وقبل رأسها فسألته:

- هل ستمكث طويلًا في أوهايو؟

- لن أتأخر أعدكِ، بضعة أيام حبيبتي يجب أن أنهي بعض الأعمال لأتفرغ لمشروعنا الصغير.

- هممم.. وماذا سأفعل إذا ما احتجت شيئًا أو شعرت بالتعب؟

- سام حبيبتي، لا تكوني طفلة أرجوكِ، لقد تركت لكِ السيارة، يمكنكِ الذهاب للأسواق بالمدينة أو النادي الاجتماعي، تعرفي على السيدات هناك، لقد رأينهم سويًا، يبدون على قدر كبير من اللطف، أليس كذلك؟

تذكرت النساء الشمطاوات اللاتي نظرت لهن بحقد وقالت ساخرة:

- بالطبع..

أوصلته إلى محطة القطار حتى يصل للبلدة ويستقل طائرته من هناك، ودّعته ثم تذكرت شيئًا فعادت تسأله:

- ماثيو، هل يمكنني تغيير لون الجدران أو شراء بعض المفروشات الجديدة من ذلك المتجر الذي رأيناه سويًا؟

ابتسم قائلًا:

- بالتأكيد عزيزتي، فقط لا تجهدي نفسك.

وانطلق إلى قطاره، بينما ذهبت سام إلى السوق لتبتاع بعض الأشياء، بدأت بشراء زجاجات صبغة لشعرها ذات لون أحمر قانٍ، لم تكن متأكدة أنها تملك الجرأة الكافية لهذا التغيير، لكن لمَ لا؟

وفكرت في شراء دهانات المنزل أيضًا، فعرجت على بعض محلات الدهانات

وأخذت تتفحص الألوان الهادئة المريحة للأعصاب.

- هاي، السيدة هاثواي؟

التفتت لمصدر الصوت في متجر الدهانات، إنه السمسار الأصهب، تعجبت أنه لا يزال يذكرها، فهو لم يقابلها شخصيًا، فقط لمحها وهي تترجل من السيارة ذلك اليوم الذي جاءوا فيه إلى البيت، ابتسمت وصافحته بمودة.

- أراكِ تبتاعين بعض الدهانات، هل تعزمين على تغيير ألوان البيت؟

كادت تجاوبه أن نعم هذا بالضبط ما تنويه، لكنها تجاهلت سؤاله وبادرته بسؤال آخر:

- هل تعرف آل ماكونهي جيدًا؟

أجابها متهكمًا:

- ومن لا يعرفهم! لمَ؟

- لا شيء، فقط لا أفهم ما قلته عندما ذكرت لزوجي أنهما لا يحبان الاختلاط! لقد قابلت السيدة ماكونهي وبدت لي لطيفة للغاية!

تحاشى الرجل نظراتها وقال:

- لا أعلم، لا تبدو لي لطيفة على الإطلاق.

كادت تستوقفه لتستوضح حديثه، لكن بائع الطلاء العجوز تدخل في الحديث قائلًا وهو يسعل:

- أنتِ إذن الساكنة الجديدة لدى آل ماكونهي! هاهاها، أطال الرب عمرك.

ابتسمت وسألته:

- جمعيكم تعرفون آل ماكونهي؟!

- بلى.. أتقولين عن هذه البومة لطيفة؟ في الواقع أنا لا أشعر بالراحة لمجرد مروري أمام منزلهم في طريق عودتي ليلًا، إنها المرة الأولى التي أرى أحدهم يصفها باللطف!

وأخذ يسعل كثيرًا، فناوله السمسار كوبًا من الماء دفعة واحدة، ثم أكمل كلامه ببطء:

- لطالما كان هناك شيئًا بصدد آل ماكونهي! المكان بأكمله كريه للغاية، لا عجب أن لا أحد يستأجره سوى الغرباء عن البلدة مثلكم ولا يمكثون به كثيرًا، لا أذكر أن أحدًا من البلدة حاول أن يسكنه منذ زمن بعيد، آخر من حاول كان "لوي" العزيز وزوجته "مارجريت".

وصمت فسألته:

- ثم ماذا حدث؟

صمت ولم يجبها، فلم تجد ما تقوله ودفعت النقود للبائع العجوز وهي تشعر بالغيظ، لقد ثرثر الرجل كثيرًا جدًا كعادة العجائز، لكنه يصر أن يصمت عند النقاط الهامة. ساعدها السمسار على وضع دلو الطلاء في سيارتها قائلًا:

- أكرر نصيحتي، أرجو أن تتحاشي الاحتكاك المباشر بهؤلاء القوم.

هزت رأسها بغيظ ثم عادت تسأله من نافذة السيارة:

- ماذا حدث للوي ومارجريت هؤلاء؟

هزّ كتفيه بمعنى أنه لا يعرف، أو أنه لا يملك أكثر ليقدمه لها، وانصرف.

أخذت سام تفكر في كلام الرجل طوال الطريق للمنزل، الكثير من التحذيرات والكلام الغامض، لا ذيل له ولا رأس، كم تكره الكلام المبهم! لكنها تناست الأمر برمته بمجرد الاقتراب من المنزل، فقط بدأ الحماس للبدء بالطلاء يدب بداخلها بقوة.

دخلت للمنزل سعيدة بغنيمتها كالطفلة، لم تنسَ أن ترسل لماثيو زجاجة الصبغة الحمراء حتى تتأكد أنه متحمس لهذا التغيير الجذري في شكلها، فأبدى إعجابه باللون، لكنها فكرت أن تبدأ بدهانات المنزل أولًا. أخذت تتجول في المنزل حاملة الحاسوب المتنقل، وهي تعاين غرف المنزل وتتخيل كيف يمكن أن تكون الألوان وتوزيعها وتشاهد مواقع الديكورات على الإنترنت حين وصلت لغرفة الأطفال وجلست أمام الحائط الموشوم، تذكرت تلك الرسومات فقررت أن تبحث عن أصلها، جلبت بعض حبيبات الفستق وزجاجة مياه غازية مثلجة، ثم اقتربت من الحائط وتحسست الرسومات بتوجس..

ما هذا! شعرت ببعض الدور الخفيف فأسندت رأسها على الحائط لدقيقة ثم رفعت رأسها مجددًا.

ما هذا؟!

خيلّ لها أن أساسات الحجرة اختفت من حوالها..

هل تحلم!!

يا إلهي!

وكأنها انتقلت في لمح البصر مثل الأفلام السنمائية. هي الآن فيما يبدو أنه كهف، تلفتت حولها ولدهشتها وجدت سيدة ذات شعر أحمر طويل ثائر يغطي ردفيها ترتدي أثمالًا، وتتحدث بعصبية لرجل ما ضخم للغاية، لا تفهم لغتهم، لا تفقه حرفًا مما يقال، ما هذه اللغة! لكنها لدهشتها تفهم محور الكلام! كانت السيدة التي لم ترَ وجهها تقول للرجل بصوت شيطاني:

- أنت تريدها هي، لأنها لا تعارض أوامرك. لأنها خاضعة لك، أما أنا.. لم أخلق لأكون خادمتك!

فح الرجل قائلًا:

- لقد خلقتِ لتكوني شيطانة!

ضحكت ضحكة قبيحة، فدفعها الرجل بعنف وسقطت أرضًا من قوة الدفعة. قالت له هامسة:

- لن أترككم تنعمون بحياتكم، سألحقكم، لسوف أتتبع أحفادك وأحفاد أحفادهم جميعًا.

نظر لها الرجل بتحدٍ وخرج. فصرخت صرخة اهتزت لها أركان المكان وقلب سام فسقطت أرضًا هي الأخرى تغطي أذنيه. اختفى صدى الصوت بالتدريج فرفعت سام رأسها ببطء، نظرت للجدار بعينين دامعتين، ثم نظرت للسيدة مرة أخرى فلم تجدها.

لقد اختفوا، وعادت الغرفة لحالتها السابقة، مجرد غرفة أطفال بريئة!

زحفت سام على ظهرها في هلع إلى خارج الغرفة، ثم نهضت لتركض في ذعر إلى خارج المنزل وهي تتعثر وتنهض وتتعثر، فتزحف ذعرًا ثم تنهض لتركض من جديد، حتى وقفت في الحديقة تلهث بشدة وهي تنظر إلى المنزل وركبتها ترتعش بشدة، وقد فقدت القدرة على السيطرة عليها، غسلت وجهها من صنبور الري وتمالكت أعصابها.

هل كانت تحلم؟ بالتأكيد!

لكن أي حلم هذا الذي يبدو بكل هذه الواقعية! لقد كانت تشم رائحة النار المشتعلة في ركن الكهف، وكاد الصراخ يصم أذنيها و...

- هل أنتِ بخير؟

أجفلت ونظرت إلى مصدر الصوت، إنها لي لي التي وقفت تتأملها، هذه اللعينة، دائمًا ما تفزعها، لا تشعر أبدًا بخطواتها وكأنها تأتي طائرة.

- يا إلهي! لم أشعر بكِ! لا.. أعني، نعم، أنا بخير، لقد.. لقد شاهدت حلمًا سيئًا

ليس إلا، زوجي ليس بالمنزل وكنت أرتب المنزل وأخطط لإعادة طلاءه حين رأيت...

انحنت لي لي لتتحسس شعر سام بنعومة حيث جلست على حافة السور:

- لا بأس عزيزتي، اهدأي، تمالكي أعصابك، لقد كنتِ تحلمين.

تدلت من عنق لي لي قلادة دقيقة أمام عيني سام إثر انحنائها تمثل نصف قلب! إنها القلادة التي كانت السيدة ترتديها في الصورة:

- "دارلا" ماكونهي..

تصلبت لي لي إثر سماعها للاسم ثم ابتسمت قائلة:

- إنها جدة زوجي، كان سير آرثر هو عمدة البلد فيما مضى، لقد ورث زوجي عنهم هذه المزرعة.

- آه، لقد وجدت صورة لهما في القبو، هل هذه قلادتها؟

- نعم، لقد ورثها "آدم" عنها.

ثم ابتسمت واقتربت من سام لتساعدها على النهوض، فتوقت خصرها بذراعها. شعرت سام بألم مفاجئ ينتابها فقالت لها بصعوبة:

- أوه! أشعر بألمٍ شديد أسفل ظهري، هل.. هل يمكنكِ أن توصيلني للمنزل فقط؟

تأملتها لي لي قليلًا، ثم ساعدتها حتى وصلت إلى باب المنزل وتركتها تستند للباب قائلة:

- هل ستكونين بخير؟

نظرت لها سام قائلة:

- أعتقد ذلك..

- حسنًا.

- هل يمكنكِ البقاء معي قليلًا؟ إنني خائفة من البقاء وحيدة بهذا المنزل اللعين.

صمتت لي لي قليلًا ثم قالت بتردد:

- للأسف لا أستطيع أن أبقى معكِ طويلًا، لا أترك زوجي كما تعلمين.

هزت سام رأسها وقد شعرت بالسخف من نفسها. عادت لي لي تبتسم قائلة:

- لكنكِ تدينين لي بدعوة قهوة، أنا لم أنسَ!

ابتسمت سام وهزت رأسها متفهمة وودعتها، رمقتها لي لي وهي تغلق الباب السلكي وقالت لها من وراء الباب:

- أتعلمين سام؟

- هممم؟

- ربما كانت فكرة جيدة أن تعيدي طلاء جدران المنزل، ستشعرين بسعادة وطاقة إيجابية مع التغيير بالتأكيد، المنزل قديم للغاية وبه العديد من الذكريات السيئة، بعض الألوان قد تبدد هذا الجو المشؤوم.

ابتسمت لها سام وهزت رأسها موافقة ثم عادت إلى داخل المنزل تاركة جارتها ترمق الباب طويلًا.

في الصباح، ومع ضوء الشمس المبهج شعرت سام بالسخف من خوفها الليلة الماضية، فدخلت الغرفة ببطء، كل شيء كما تركته أمس، الحاسوب، في موضعه على الأرض لكنه بالتأكيد فرغ من الشحن، المطفأة الخزفية وقشور الفستق التي كانت تأكلها، شعرت بفضول، اقتربت بتردد من الحائط ذي الرسومات، مددت

يدها المرتجفة تتحسها، مجددًا شعرت بوجود ما في الغرفة، نظرت بطرف عينها للغرفة من خلفها.. حسنًا بالتأكيد هي لا تحلم هذه المرة، هناك.. في ركن المكان الذي لم يعد يمت للغرفة بصلة.

وقف الرجل الذي شاهدته بالأمس، لكنه اختلف كثيرًا جدًا! يبدو أكثر تحضرًا، حليق الوجه وسيم للغاية، لا يرتدي الأثمال السابقة بل يتزين بثياب عصرية نوعًا ما، ربما تنتمي للخمسينات.. مهلًا!!

إنه ذلك الرجل في الصورة الفوتوغرافية القديمة!!

آرثر ماكونهي؟

الآن تستطيع تمييز ملامحه، بينما كان يصعب معرفته في رؤية الأمس!

لدهشته تقدم ببطء واقترب منها للغاية، فانكمشت في مكانها ذعرًا، لكنه مرّ حرفيا عبرها وأكمل طريقه للوحة زيتية تقع خلفها، شعرت ببرودة عجيبة عندما مرّ هذا الطيف من خلالها، تجمدت أطرافها وأخرجت سحابة من بخار الماء من فمها، استدارت بسرعة لتجده يقف خلفها يداعب بومة جميلة الشكل تقف على ذلك المسند الذي وجدته في القبو! إذن هذا المسند أيضًا يمت لآرثر ماكونهي!

ثم جلس أمام اللوحة وانشغل برسم البومة التي توقفت عن الحركة وكأنها تعلم أنها موديل اللوحة، دخلت سيدة شقراء للغرفة، تتحرك بصعوبة وقد انتفخ بطنها بشدة، تبدو في أواخر شهور حملها، تأملته وهو منهمك في الرسم بأسى وقالت له بلغة مفهومة هذه المرة (لعلها الأسكتلاندية القديمة).

- ألن تخرج من المنزل يا آرثر؟ هل ستقضي اليوم أيضًا مع بومتك؟

لكنه نظر لها بطرف عينه، كأنه لا يراها ولم يجبها وأكمل ما كان يفعله، فثارت واقتربت من البومة وهي تمسك نعلها وحاولت أن تخيفها، لكن ما حدث كان مرعبًا، لقد نظرت لها البومة بعينين متوهجة بالنيران، فتراجعت السيدة مرعوبة

للوراء حتى سقطت على سام التي أغمضت عينيها بدورها وانكمشت مستعدة لتشعر بالبرودة التي تجمد جسدها وروحها عندما تتلامس مع هؤلاء الأطياف، لكنها لم تشعر بشيء مطلقًا، فتحت عينها ببطء فلم تجد أي شيء بالغرفة مثلما حدث بالأمس. نهضت مسرعة للحائط وعادت تلمسه مجددًا مرارًا وتكرارًا قائلة:

- هياااا.. هياا.

تريد أن تكمل الرؤية، ماذا حدث!

لكن لم يحدث أي شيء ولم تتبدل الغرفة من حولها، ظلت مجرد غرفة أطفال بريئة!

استدارت بحركة عصبية للنافذة، فصرخت هلعًا عندما فوجئت بوجود تلك البومة المقيتة تقف على النافذة من الخارج تنظر لها باهتمام، تلفتت حولها فوجدت المطفأة الخزفية، فألقتها على النافذة ليتهشم الزجاج محدثًا دويًا عظيمًا، وطارت البومة بعيدًا. عادت تتأمل الرسومات بتعجب.

***

جلست سام في الحديقة هذه المرة، أرادت أن تخرج من هذا الجو المظلم المشؤوم، أرادت أن ترى أشعة الشمس والمزروعات المبهجة. أمسكت بالقلم وحاولت ترتيب أفكارها على الورقة بيدٍ راجفة:

- حسنًا.. يبدو أنني أملك فجوة زمنية بداخل منزلي المتواضع. آلة زمن تنقلني لعصور غابرة، ومفتاح هذه الآلة هي تلك النقوش، لكن هذا المفتاح لا قاعدة له، فيما يبدو أنه لا يعمل بمجرد لمس النقوش، لكنه يعمل من تلقاء نفسه في الأوقات التي يراها مناسبة..

يا لها من محظوظة! لقد اختارها القدر بالذات، هي التي لا تؤمن بالماورائيات.

ها هي التي لطالما سخرت من أصدقائها عندما يقص أحدهم إحدى قصص

هذا الهراء، يحدث لها هي بالذات دون سواها. والأدهى أنها تجد تشابهًا مرعبًا بين ما شاهدته في هذا الكابوس أم تطلق عليه رؤية؟ لا تدري وبين حياتها هي وماثيو زوجها العزيز!

السيدة التي لم ترها جيدًا كانت حاملًا، وهي أيضًا حامل! كما أن هذا الـ آرثر فيما يبدو أنه كان مولعًا بهذا الطائر المقيت مثلما حدث مع زوجها.

هل هذه مصادفة؟ هل يمكن تكون هذه نفس البومة واعتادت أن تعيش في هذه المزرعة؟ رباه! كم من الزمن يعيش هذا الطائر اللعين! أمسكت بهاتفها المحمول وبحثت عن متوسط عمر طائر البومة لعلها نفس البومة، الإجابة عشرون عامًا، إذن، هي ليست نفس اللعينة.

لم تصل لإجابة واضحة، فنهضت وعادت للمنزل بحيرة وبدأت تنشغل ببعض المهام المنزلية الضرورية ولم تنسَ أن تلمس الحائط بين الحين والآخر، لكن لا شيء، لم تتلقَ أي إجابات أخرى.

***

في المساء، عادت إلى الغرفة لتنظفها، فقد انتهت من تنظيف جميع الغرف الأخرى ولم يتبقَ غير هذه الغرفة، بدأت بكنس الزجاج المهشم الذي تساقط بعضه بداخل الغرفة، بينما تساقط معظمه خارج الغرفة لحسن الحظ. لم تستطع أن تقاوم سحر الرسومات، قادها فضولها لتحاول لمس الحائط مجددًا.

هذه المرة لم تخذلها الرسومات، فعندما استدارت وجدت أمامها آرثر يجلس بجوار دارلا المستلقية بالفراش، يتحسس رأسها الغارق في العرق البارد، إنها تبكي بحرقة، وتصرخ، بينما البومة العملاقة تقف على مسند الطيور. البومة لا تكف عن النهام، قالت دارلا لزوجها باكية:

- إنه الطفل الثالث الذي يولد ميتًا، إنه الطفل الثالث يا آرثر!

نظر إليها وعينه شاردة قائلًا:

- إنها لعنة تلك الشيطانة، إنها تلاحق نسلنا.

ضمها إليه بحزن وهو ينظر إلى البقعة الحمراء التي تتسع في الغطاء، إنها تنزف بغزارة، قالت له بصوت متقطع:

- يجب أن تحصننا من شرورها، مثلما... مثلما كان يفعل أجدادنا.

نهض الرجل وغمس إصبعه في دماء السيدة واتجه للحائط، زحفت سام مذعورة بعيدًا عن طريقه، لا تريد أن تشعر بمروره عبرها مجددًا، إنه لا يراها مطلقًا، فكلاهما في بُعدٍ مختلف، رأته يرسم على الحائط ويعود ليغمس إصبعه مجددًا في الدماء الساخنة قبل أن تجف. نظر آرثر إلى السيدة، كانت تبدو شاحبة للغاية لكنها تحاول أن تتماسك وهي تحتضن جثمان طفل وليد لا يحرك ساكنًا، تجمعت دموعه بغزارة في مقلتيه، لكنه لم يكف عما يفعله، البومة لا تكف عن الصراخ والرفرفة بجناحيها بجنون، خيل إليها أن الطائر اللعين يتحول لكيان قبيح للغاية، في جزء من الثانية ثم يعود لهيئته الأولى سريعًا.

انتهى آرثر من رسم النقش تمامًا، فرت البومة من النافذة وارتفعت صرخة بشعة عالية من اللا مكان بمجرد انتهائه، وبدأت الرؤية تهتز مجددًا. أغمضت سام عيونها وسدت أذنيها خائفة عدة دقائق حتى هدأت الأجواء، فتحت عينها وتأملت الغرفة التي عادت كما كانت.

***

جلست سام في حالٍ يرثي لها، منكوشة الشعر شاردة الذهن أمام الحائط وهي تحتسي كوبًا من القهوة لعله يساعدها على التركيز قليلًا، لا بد وأن هناك تفسيرًا لهذه الرؤية التي تراها كلما لمست الرسومات. ما تراه هي أحداث لا بد أنها بدأت منذ قرون غابرة مع أسرة ما، وامتدت عواقبها لتطول أحفادهم، مالكي البيت السابقين، آل ماكونهي.

اقتربت سام من الرسومات، لكنها لم تلمسها هذه المرة، فقد رأت ما يكفي حقًا لتشمئز منها، أرادت فقط أن تتأملها عن كثب، أمسكت هاتفها والتقطت لها صورة ثم أرسلت الصورة إلى الحاسوب، وأخذت تبحث في جوجل عن أي شيء قد يمت بصلة لهذه الرسمة، فبحثت عن رسومات قديمة، رسومات ذات قدرات سحرية، أمضت ما يقرب من الثلاث ساعات تبحث لكن بدون أي جدوى.

اتصلت بماثيو كثيرًا لتقص عليه ما يحدث لكنه لم يجبها. لعنته في سرها، كانت في أمس الحاجة لوجوده بجوارها، إنها خائفة للغاية حتى وإن تظاهرت بالتماسك.

الأحمق! جلبها لهذا المنزل اللعين وتركها وحيدة!

عبثت بشعرها وتنهدت بتعب، ثم وقفت تتفحص الرسومات وتنقل بصرها لدلو الدهان وقد حسمت أمرها.

***

انتهت سام من دهان الغرفة وافترشت الأرض مرهقة وهي تتأمل الحائط الذي كانت الرسوم تحتله، لقد اختفت تمامًا. شعرت بارتياح نفسي للتخلص من هذه الرسومات المقيتة، وضعت وسادة ما تحت رأسها وأراحت ظهرها وهي تتأمل السقف في شرود حتى غفت عيناها.

لم تدرِ كم من الوقت نامت، لكنها استيقظت وقد حل الظلام، شعرت بوجودِ ما في الغرفة، ربما صوت أنفاس مرتفعة، فتحت عيناها ببطء وأدارت رأسها لجهة اليمين، فوجدت هناك على طرف النافذة، تقف تلك البومة كستنائية اللون، تتأملها، ورغم الظلام الذي يخيم على الغرفة فعيني البومة يعكسان ضوءًا ساطعًا مجهول المصدر، زحفت سام ببطء في اتجاه النافذة وهي لا ترفع عينها عن البومة، ونهضت بهدوء حتى تسدل الستائر فهي لم تحب هذا المشهد الكئيب وخصوصًا بعد ارتباط هذه البومة بما تراه في تلك الرؤية، مجرد اقتراب يدها

من النافذة كان كفيلًا أن يتوتر هذا الكائن المقيت فطارت مصدرة صوتًا عاليًا أفزع سام، فتراجعت خطوتين للوراء واستدارت، فقط لترى امرأة تقف وراءها مباشرةً، ظهرت من اللا مكان.

أمسكت المرأة كتفها بقوة، واقتربت منها، كادت سام تفقد وعيها من هول المنظر، وجه الفتاة متحلل وعيناها الغائرة تشتعل بالغضب وهي ترمقها صارخة، ثم همست لسام:

- لا تدعُها لدخول البيت.

ودفعتها بعنف جهة الحائط الذي كان يحمل الرسمة حتى التصق ظهرها بالحائط وحاولت أن تغمش الطلاء الذي لم يجف بعد بمخالب يديها الطليقة، لكنها لم تنجح في كشف سوى جزء صغير من الرسمة، ثم اقتربت بوجهها المقيت من وجه سام التي ما زالت تمسكها بقوة من كتفها وتثبتها إلى الحائط، بينما حاولت سام أن تتماسك حتى لا تسقط مغشيًا عليها من شدة القبح الذي تراه أمامها وقد فقدت النطق تمامًا، ثم خيل إليها أن وجه المرأة القبيح للحظة تحول لوجه آخر غاية في الجمال، يشبه تلك المرأة الشقراء التي رأتها في الرؤية، قالت لها سام بصوت مختنق:

- دارلا؟ أنتِ دارلا ماكونهي؟

رأت في عين المرأة ما يشبه من نظرة أسى أو شفقة وهي تقول لها:

- لقد طمستِ ما كان يبقيها خارج المنزل، لا تدعيها تستولي على جسدك، لا تسمحي لها أن تأخذ هذه الروح.

وأشارت بإصبعها لبطن سام، خفضت سام بصرها لإصبع المرأة ثم عادت ببصرها لوجهها، الذي عاد لهيئته البشعة مجددًا وقد اقترب وجهها من وجه سام حتى كادت تلتصق جبهتهم ببعض، فأغمضت سام عيناها بقوة وأخذت تتمتم بصلاة ما وهي تتمنى أن يزول كل هذا سريعًا أو يكون الأمر مجرد رؤية أخرى

من تلك الأحلام اللعينة التي تراها مؤخرًا.

فتحت عينيها ببطء، لقد انتهى كل شيء، لا وجود للسيدة، لا أنفاس حارة، ولا بومة رمادية تتلصص من النافذة. ركضت سام إلى خارج الغرفة ركضًا، جلست في الصالة أمام المرآة العملاقة وهي تشعر بآلام قوية تهاجمها، نظرت إلى وجهها الذي يتصبب عرقًا، شاحب للغاية، ترتعش شفتها السفلى، خيل إليها للحظة أنها لا ترى وجهها هي، دققت النظر وقد كادت أن تجن، إنه ليس وجهها، بل هو وجه أقرب لسيدة في منتصف العمر، إنها تلك السيدة مجددًا، دارلا، تنظر إليها في دهشة وترتعش شفتها السفلية برعب، تتحسس سام وجهها، فتتحسس دارلا وجهها من الجهة الأخرى، إنه انعكاس جسدها هي وانفعالاتها هي لكنه وجه دارلا!

ثم بدأت المرأة تتحرك بإرادتها الحرة واقتربت من زجاج المرآة من الجهة المقابلة لسام، ثم نفخت نفسها الحار الذي سرعان ما تكثف ليكون غمامة على الزجاج، رفعت يدها ورسمت بطرف إصبعها كلمة ما على الزجاج. كلمة غير مفهومة.

(سينوئي)..

بدأت السحابة تنقشع وتختفي معها الكلمة، فكررت ما فعلته، نفس حار ثم كتابة نفس الكلمة وقالت لها بصوت هادئ:

- حصني جميع جدران المنزل، إنها تعبر من خلال الجدران.

بحثت سام كالمجذوبة عن القلم في حقيبة الحاسوب، ثم سارعت سام بنقل الكلمة على علبة الصبغة، فرغت من نقل الكلمة في اللحظة التي اختفت تمامًا من على المرآة وعادت سام تنظر إلى وجهها المذعور وقد اختفت دارلا، وتركت لها العديد من الرسائل المبهمة.

***

جلست سام في مكتبة البلدة أمام جهاز الكمبيوتر العتيق الخاص بأرشيف المكتبة، ترتشف القهوة الساخنة لتنعش حواسها. دقت أناملها بعصبية على المكتب وهي تفكر، لا تعلم عمًا تبحث أو من أين تبدأ، كتبت في محرك البحث (آل ماكونهي)

وانتظرت قليلًا حتى ينتهي الجهاز من مسح جميع المعلومات المخزنة به ومن ثم ظهرت لها العديد من العناوين المختلفة، والتي تجمعها كلمة آل ماكونهي. بعضها حديث يعود للعام الماضي فقط، وبعضها يعود للخمسينات، الكثير من الأخبار المصحوبة بصور، بعضها صور لجرائد تتحدث عنوانها عن حادث منزل آل ماكونهي، حادث؟

وهل هناك أسوأ مما رأت، وصورة لرجل يبدو في منتصف العمر وسيدة تماثله بالعمر وعنوان يتحدث عن اختفائهم، العديد من الصور ( آرثر ودارلا) من بعض الصحف البلدة القديمة التي تعود للثلاثينات، وعناوين على غرار:

(عمدة سانت اندروز آرثر ماكونهي يحتفل بافتتاح أول حديقة حيوان في البلدة).

"تصريحات سير آرثر ماكونهي حول هجوم أسراب من البوم المهاجر على البلدة".

"اقتناء عمدة سانت اندروز لبومة من إحدى الأسراب المهاجرة واستئناسها".

"محاصيل الماكونهي من التفاح تزدهر من جديد".

"يشيد العمد مكونهي بجهود أهالي البلدة في كذا".

"ويضيف آرثر ماكونهي...".

كلها أخبار من جرائد قديمة تبدو سطحية للغاية، أخذت تمر بين الأخبار التي ذكر بها اسم الرجل، يبدو أنه كان ذائع الشهرة نوعًا ما، فلم تخلُ الجريدة

الأسبوعية من خبر يخصه أو تصريحًا أدلى به. ثم اعتدلت في جلستها عندما التقطت عينها هذا الخبر: "يتقدم السيد "كونان داوني" بتعازيه الحارة لسير آرثر ماكونهي في وفاة طفله الثالث".

ثم وجدت المزيد من الاسترسال عن الخبر أسفل العنوان: "ويعد هذا هو الطفل الثالث الذي يولد ميتًا لعمدة سانت اندروز المحترم، وهو خبر مزعج عمّ الحزن على إثره أرجاء البلدة بينما صرح...".

لم تكمل قراءة الخبر وقد شرد ذهنها، إذن فإن ما رأته ليس حلمًا وليس مجرد هرتلة عقل باطن، لقد جعلتها تلك الرسومات ترى مشهدًا حدث في بيتها منذ أعوام طويلة. لمزيد من الدقة، منذ ما يقرب من الخمسين عامًا!

عادت تطالع الأخبار الأحدث المتعلقة بالمنزل، ذلك الخبر الصغير في ركن الجريدة يعود لعام 2002 عن اختفاء أسرة صغيرة من السكان المحليين. مزارع يبدو في منتصف الأربعينات وزوجته تبدو لطيفة، نظرت لصورتهم بتمعنٍ ثم تجولت بعينيها سريعًا بين السطور، لا معلومات واضحة، اختفاء غير مبرر بعد مكوثهم بمنزل آل ماكونهي لمدة عام، ملحوظة عابرة من أصدقائهم عن اكتئاب الحمل الذي كانت تعانيه الزوجة قبل وفاتها، لكن التحقيقات لم تسفر عن شيء، من ثم قيد أسماءهم مع المفقودين.

لويس ومارجريت!! الزوجان الذان تحدث عنهما البائع العجوز!

الزوجة كانت حاملًا أيضًا؟

بللت شفتيها بلسانها وهي تنتقل للخبر التالي وهو الأحدث والأخير في نتائج البحث، شعرت برجفة تنتاب أسفل عنقها وهي تقرأ: "وفاة سيدة وهي تضع طفلها".

توترت أناملها وهي تسحب الخبر لأعلى الشاشة لتتمكن من قراءته، تأملت صورة الزوج المبتسم بجوار زوجته الشقراء البدينة نوعًا ما، زوجان متحابان،

يبدو الفتى مألوف الملامح كثيرًا لها، لكن لا تذكر أنها تعرفه، ثم صورة أخرى لجثة الزوجة الشاحبة، يغطي شعرها الأحمر نصف وجهها، أحمر؟ ألم يكن أشقر في الصورة الأخرى؟ لعلها قامت بصبغه؟

"توفيت السيدة ل.م إثر إصابتها بنزيف حاد جراء الولادة، والجدير بالذكر أنها وضعت طفلًا متوفيًا غير مكتمل الأعضاء". تفاصيل غير هامة لم تقرأها سام.. "بينما نُقل الزوج المصاب بصدمة عصبية من منزل آل ماكونهي لمصحة أدنبرة بعد محاولة استجوابه عن الحادث، لكنه كان صامتًا فاقدًا للنطق".

نهضت سام كالملسوعة حتى أنها أسقطت المقعد التي كانت تجلس عليه محدثة دويًا عاليًا، فالتفت لها كل من كان بالمكتبة. فهرعت لخارج المكتبة وجلست على أقرب مقعد في حديقة المكتبة لتهدأ قليلًا. الأفكار تتصارع في عقلها فتهشم بعضها البعض.

أخذت تكتب بعض النقاط في ورقة أمامها كعادتها، تريد أن ترتب أفكارها المبعثرة قبل أن تنسى كل هذا:

• هناك رؤى تزورها وهذه الرؤى تأتيها فقط عندما تلمس تلك الرسومات.

• هذه الرؤى تدور حول رجل وامرأة، بل امرأتان، أحدهما زوجة الرجل، والأخرى ما زالت مجهولة الهوية.

• هناك حديث عن لعنةٍ ما، والسيدة الأخرى هي السبب بشكلٍ أو بآخر فيما يحدث لهم من وفيات لصغارهما.

• كل سكان المنزل السابقين اختفوا أو توفت الزوجة وهي تلد وتوفي صغيرها معها.

• هناك شبح تلك السيدة التي تحذرها من عدم دعوة أحدهم للدخول (الدخول إلى أين؟).

• تبدو أن الرسومات كذلك (التي قامت هي بطلائها بلا فخر) تحمي من هذه اللعنة.

• لم ينجُ أحد من هذا المنزل سوى الساكن الأخير، الذي يمكث في تلك المصحة حاليًا (إذن فهو يملك بالتأكيد ما يقدمه لها وهذا إذا كان قد تخطى صدمته بالطبع).

دقت أناملها بعصبية مرة أخرى، الأمر معقد للغاية! ثم تذكرت أهم نقطة:

الرؤى تخص آرثر ودارلا ماكونهي وحفيدهم آدم يقطن على بعد أمتار معدودة منها! الجار الغامض الذي لم يره أحد مطلقًا، والزوجة ذات الشعر الأحمر التي تظهر فجأة دائمًا من بين الأشجار. لا بد وأنهم طرف الخيط لهذا اللغز.

***

- من أين تحسبني أتيت؟ من الأشجار؟

***

عاودت الاتصال بماثيو وهي تجلس في حديقة المكتبة فأجابها على عجل:

- سام عزيزتي أعلم إنني لم أعاود محادثتك، أنا أعتذر، الكثير من الفوضى في الأعمال هنا وعليّ أن أعتني بكل شيء قبل عودتي لكِ، اسمعي أنا على وشك دخول اجتماع هام.

أجابته مسرعة وقد شعرت من إيقاع المكالمة السريعة أنه سينهي المكالمة في الحال:

- لكنني أحتاج أن أخبرك بأشياء غريبة تحدث هنا، ماثيو أنا بحاجة لترك هذا المنزل اللعين..

- ماذا؟ سام حبيبتي اهدأي فقط.. أوكاي؟ سأعاود محادثتكِ مساءً لنتحدث في

كل هذا حبيبتي، أعدكِ.. باي.

- انتظر!!

لكنه أغلق الخط. الأحمق! لقد أرادت أن تخبره بكل ما يحدث هنا.

أسندت ظهرها ونظرت إلى السماء وهي تتساءل:

- ماذا يحدث في هذا البيت اللعين؟

تشعر بالخوف، تحسست بطنها وهي لا تعلم ماذا سوف يحدث، هناك خطر يهددها، لكنها لا تعرف كيانه وكيف تحمي نفسها!

نظرت في هاتفها وكل تلك الصور التي نقلتها من كمبيوتر المكتبة له، أخذت تقلب في الصور وهي تتفحص صور هؤلاء الأزواج، نظرت مجددًا لصورة الساكن الأخير ذلك الذي يمكث بالمصحة، هذا الرجل يبدو مألوفًا جدًا لها، تساءلت في أعماقها "يا ترى ماذا حدث له؟ ماذا رأى؟ هذا الرجل يعلم حقيقة ما يحدث بهذا المنزل".

إذن، هو محطتها التالية! سوف تذهب لتقابله لعل حالته تحسنت ويستطيع أن ينقل لها تجربته ثم تعود لتقابل آدم، هذا الـ (آدم) هو الطرف الآخر للخيط بالتأكيد.

بحثت في جوجل عن موقع المصحة التي وُضع بها آرثر، فوجدتها تبعد ما يقرب من النصف ساعة بالسيارة، لا بأس. يمكنها إذن أن تذهب وتحاول أن تقابله، سوف تفكر في تدبر أمر آدم جارها وزوجته لاحقًا. عادت تتفحص الصور وهي تستعد للنهوض حين ظهرت أمامها الصورة التي التقطتها للرسومات.. مهلًا! كيف نسيت "آن"!

"آن" هي صديقة الطفولة اللطيفة التي كانت تدرس معها في الثانوية لكنها تخصصت في دراسة تاريخ الحضارات في القرون الوسطى ولها باع طويل في

دراسات السحر في الحضارات القديمة.

- بالتأكيد ستفيدني آن، إن كل هذا يمت للسحر بصورة ما.

رفعت هاتفها واتصلت بصديقتها، بعد عدة دقائق أمضوها في تبادل الأخبار والأحاديث الجانبية، لم تكن سام ذات بالٍ رائق لتبادل مثل هذه الاجتماعيات لكنها تماسكت، ثم قالت لها وهي تتأمل الرسومات بشرود:

- سأرسل لك شيئًا قد يثير اهتمامك.

- ما هذا يا صغيرتي؟

- صورة لرسومات وجدتها على حائط منزلي، أعتقد أنها ربما تمت لعقيدة وثنية ما، كنت أتساءل إذا ما رأيتِ شيئًا يشبه ذلك الشيء من قبل، سأرسلها لكِ الآن.

- حسنًا، أعطيني دقيقة حتى أرى، هممم، لم يسبق لي إن رأيت شيئًا يشبه ذلك من قبل، هممم لا عزيزتي لم أرَ مثلها من قبل لكنها تبدو لي كتعويذة ضد شيء ما.. فكما ترين هناك دائرة، وبداخلها ما يقرب من رسمة 3 أطفال، أو طفل وشخصان بالغان، وفي الجهة الأخرى ما يقرب كيان غير مفهوم الشكل، قد يكون طائرًا؟

أجابتها سام وهي تنهض وتتوجه للسيارة:

- الأطفال بداخل الدائرة بينما ذلك الطائر بالخارج يحاول الدخول لهم أليس كذلك؟

- أعتقد ذلك نعم. هممم هل الحبر لونه أحمر؟ الصورة ليست واضحة.

صمتت سام قليلًا وهرشت عينيها ثم قالت:

- أعتقد أنه ليس حبرًا.

- ماذا يكون إذن؟!

- ربما دماء؟

- سام، هل تمزحين؟ بالتأكيد لا حبيبتي؟ نحن في القرن الحادي والعشرون، لسنا بصدد قضية من قضايا محاكم التفتيش هنا.

- وهل نعلم ما يجول بخاطر أصحاب المنزل اللعين؟

وتنهدت ثم قالت لها هامسة:

- آن، أنتِ لا تفهمين، هناك شيء ما بشأن هذا المنزل.

وقصت عليها سام كل ما حدث لها منذ قدومها إلى المنزل. صمتت آن وقد أشفقت على صديقتها ثم عادت تقول لها:

- إن كل هذا لهو مقزز ومرعب في آنٍ واحد! ربما لو قصصت كل هذه الأحداث على أحدهم لاتهمك بالسخف، لكنني لن أقوم بتكذيبكِ، لقد عاصرت الكثير من قصص الماورائيات.

- أعلم، لهذا تشجعت لأقول لكِ ما يحدث، ربما تستطيعين مساعدتي.

- حسنًا، هممم، أعتقد أن آل ماكونهي بالتأكيد يملكون تفسيرًا لكل هذا الذي يحدث بالتأكيد، يعلم آدم قصة جده الأكبر آرثر وما يتعلق بهذه الرسمة أو ربما تسألين لي لي زوجته، قلتِ أنها لطيفة؟

- نعم، لكنني لا أشعر بالارتياح لهما أبدًا، لقد بدأت أخافها ولا أتصور أنني قمت بدعوتها لمنزلي يومًا.

- لكنها بالتأكيد تملك تفسيرًا، إنها صاحبة المنزل!

- لا أعلم.

- أوكاي سام، انسي أن نتحدث معهم، تبدو لي فكرة حمقاء على كل حال، لكن

دعينا نتفق أن بعض المنازل القديمة قد تكتسب طاقة روحية سيئة بسبب وفاة ملاكها السابقين بطرق قد تحمل بعض العنف، وبالتأكيد هذا ما حدث مع منزلكِ بلا فخر، يا لكِ من محظوظة!

صمتت سام وهي تتأمل الرسمة على هاتفها ثم قالت:

- معكِ حق آن!

- حسنًا، لنكن عمليين قليلًا، أعدكِ أنني سأقوم ببحث مكثف عن أصول هذه الرسمة ومنزل آل ماكونهي بصفة عامة، أما أنتِ فعليك أن تأخذي حذركِ، وربما من الأجدر أن تتركي المنزل لحين عودة ماثيو، وإذا ما توصلتُ لجديد سأهاتفكِ.

انحنت سام لترى أين تدخل مفتاح السيارة وهي تقول لصديقتها عبر الهاتف:

- أرجوكِ آن.. أريد ردودًا سريعة.

- حسنًا حبيبتي، سأحاول جاهدة، ابقي سالمة من أجلي.

- أعدكِ.. باي.

وأغلقت الخط.

***

أوقفت سيارتها أمام مبنى مصحة ادنبرة العام ونظرت إلى المبنى العتيق المهيب. ترجلت من السيارة واقتربت من الباب فقابلها ممرض بائس، سألته إذا كان بإمكانها مقابلة "راين نولز". عقد الفتى حاجبه قائلًا أن لا أحد يزوره على الإطلاق. ثم نهض ليقودها لممرضة أخرى، التي بدورها قادتها للطبيبة المختصة بحالة راين.

سألتها الطبيبة بفضول عن سبب زيارتها، فصمتت سام قليلًا ثم سرعان ما أخبرتها أنها صحفية وتسعى لفتح تحقيق جديد عن منزل آل ماكونهي. رمقتها

الطبيبة بشكٍ ثم نهضت متثاقلة وهي تقودها لغرفته وقالت لها:

- راين يمر بحالة من اضطراب الهوية، جعلته يظن أنه شخص آخر ذو حياة أخرى مختلفة، إنه مسالم للغاية، يكتفي بالرسم، يرسم منزلًا كبيرًا، حقولًا من التفاح، وهناك تلك السيدة التي يكتب تحت رسوماتها أنها زوجته مارجريت.

ونظرت إلى سام التي وقفت عندما سمعت اسم مارجريت! أليست مارجريت هي زوجة لويس الساكن الذي يسبق راين؟ ثم أكملت طريقها خلف الطبيبة شاردة. دخلت سام مع الطبيبة ببطء للغرفة، غرفة نظيفة ومريحة، لكن هناك، على كل الجدران، استقرت لفظ "سينوئي" بخط مرتعش، تارةً بخط صغير وألوان زيتية، وتارة بخط كبير وقلم أسود.

أما راين نفسه فكان يجلس هناك ينظر للحديقة من النافذة، يبدو أنه يرسم شيئًا ما بينما يدير ظهره لهم، هزيل للغاية، يد ترتعش، شعر أبيض مبعثر في إهمال.

- راين؟

لم يتحرك، ولم تبدُ عليه أي علامات استجابة.

- راين، هناك زائرة تريد أن تراك.

نظرت له الطبيبة بصمت وهزت كتفها ثم انسحبت بهدوء لتتركه معها. اقتربت سام وقالت له بصوت منخفض:

- مستر راين، أنا سامنثا، الساكنة الجديدة في منزل آل ماكونهي.

أدار وجهه لها، ما هذا؟! لم يكن هو! هذا ليس راين نولز كما رأته بالجريدة!

إنه لويس، الساكن الريفي الذي كان هناك قبل راين، لقد شاخ كثيرًا وكأن أكثر من عشرين عامًا قد مروا!

وقفت سام أمام نظرات لويس وقد فقدت صوتها من الدهشة تمامًا، ثم بدأت تستعيد توازنها وسألته:

- أنت لويس؟ أليس كذلك؟ كيف؟ كيف جئت إلى هنا؟ ماذا حدث لزوجتك؟

توترت عضلات وجهه بشدة وأخذ يشير إلى شعره بحركات لم تفهمها فعادت تسأله:

- أين راين؟ هل تعرفه؟ إنه الساكن الذي جاء بعدك.

هز رأسه أن نعم، ومد يده ليلتقط ورقة من الأرض. نظرت إلى المنزل الذي رسمه بدقة وأخذ يشير بإصبعه للمنزل بعصبية.

لم تتلقَ إجابة واضحة مجددًا. اقتربت منه وجلست على طرف الفراش لتكون في مستوى نظره، نظرت لعينيه مباشرةً وهي تسأله همسًا:

- ماذا يحدث بداخل هذا المنزل؟

امتلأت مقلتيه بالدموع وارتعشت شفتاه كأنه يريد أن يقول شيئًا، لكنه عجز عن النطق، فسارعت بسؤاله:

- هل رأت زوجتك دارلا ماكونهي أيضًا؟ لماذا لا تتحدث؟ هل الأمر متعلق بآدم ولي لي ماكونهي؟ لماذا لا تجيبني؟

أشار إلى فمه والتمعت عيناه بالغضب الصامت ثم قلب الورقة التي كان يرسم بها وكتب لها بخط متعرج طفولي:

- اهربي من هذا المنزل قبل أن تستطيع الدخول إليكِ..

قرأت الجملة وتساقطت دموعها لا شعوريًا، ونظرت له بتوسل ليقول لها أي شيء، لكنه عاد لرسمته. سألته سؤالًا أخيرًا بلا أمل أن تحصل على إجابة:

- كيف جئت أنت إلى هنا؟

نظر لها بطرف عينه وكتب شيئًا على نفس الورقة.

- كانت عليها أن تتخلص مني ليبقى هو..

مسحت دموعها ونهضت، لا تدري ماذا تفعل، شلت المفاجأة تفكيرها وبعثرت خطتها. خرجت من الغرفة لتقابل الطبيبة التي انشغلت في مساعدة بعض المرضى فقالت لها بعصبية:

- هذا ليس راين..

نظرت لها الطبيبة بغير فهم وقالت لها:

- لا أفهم ماذا تقصدين؟

أخرجت سام هاتفها وعرضت على الطبيبة صورة راين من الجريدة وقالت لها:

- هذا هو راين، أما هذا الرجل الذي يجلس بالداخل...

وعرضت عليها صورة لويس وأكملت حديثها:

- هذا هو لويس الساكن الذي سبق راين للمنزل، والذي اختفى هو وزوجته مارجريت في ظروف غامضة، من الذي أحضره إلى هنا؟

صمتت الفتاة بذهول وأخذت تتأمل الصورتين وتقرأ ما كتب في الجريدة عن الحادثين، لم تمهلها سام وقتًا لتفهم وقالت لها:

- قلتِ إنه يرسم؟ ماذا يرسم؟

تلعثمت الطبيبة قائلة:

- رسومات مبهمة..

- هل يمكنني أن أراها؟

هزت الطبيبة رأسها وقادتها إلى مكتبها.

***

جرعت سام من كوب عصير الليمون الذي قدمته لها الطبيبة، والتي تبدو أنها شخصيًا تحتاج لطبيب بعد كل ما قصته عليها سام، حيث إنها ابتلعت قرصا من المهدئ برشفة من عصير الليمون وبدأت تتحدث بصوت مرتعش:

- لقد أتى راين إلى المصحة قبل قدومي بعام واحد..

قاطعتها سام مصححة المعلومة:

- لويس!

هزت الطبيبة رأسها متفهمة وأكملت:

- أقصد لويس، هو مريض هادئ غير مؤذٍ، لطالما حيرت حالته الغامضة العديد من الأطباء، إنه في الأربعين من عمره حسب السجلات، لكنه يبدو في الستين كما رأيت، شخّصه الأطباء أنه مريض فصام، لا يجلس مع النزلاء، يكتفي بالرسم، وأحيانًا قليلة يكتب بعض الإجابات، لكنها تتنافى مع المعلومات التي توجد بملفه.

- لا أفهم، كيف تم تسجليه باسم راين؟ أين اختفى هو وزوجته طول تلك الأعوام ومتى ظهر وكيف تم إيداعه هنا؟

سألتها الطبيبة السؤال الأهم:

- وأين راين نفسه؟

ثم نهضت وعبثت في محتوى ملف أمامها وأخرجت منه مجموعة من الرسومات، تفحصت سام الأوراق وارتجفت. إن أول ما التقطته عيناها في الرسومات، الكلمة التي تتكرر بكثرة بخط متعرج (سينوئي)، ثم رسومات لسيدة

ذات شعر طويل، رسومات لمنزل محاط بأشجار التفاح وهناك طائر ما يختبئ وراء الأشجار، رسومات للسيدة ذات الشعر الطويل وتقف وراءها امرأة أخرى ضبابية بدون ملامح، رسومات للسيدة ذات الشعر الطويل مجددًا وتحتها كتب بنفس الخط المتعرج (مارجريت تغيرت كثيرًا).

نهضت سام وأخذت تصور هذه الرسومات بهاتفها لعلها تحتاجها ونظرت للطبيبة قائلة:

- أعتقد أنك بحاجة لتقديم بلاغ للجهات المختصة ليحققوا في وجود لويس هنا بدلًا من راين، إذا استطاعوا أن يتوصلوا للمسؤول ربما قد يجدوا مارجريت حية في مكانٍ ما، لقد سألته العديد من الأسئلة لكنه لم يجبني.

نظرت لها الطبيبة وقالت:

- ظننتكِ تعرفين، لقد جاء إلى المصحة وقد فقد لسانه، انتزع أحدهم لسانه.

***

على حسب كلام لويس أن راين ما زال بداخل المنزل بشكل ما، وبما أنه ليس بمنزلها هي، إذن هو يقصد منزل آدم ولي لي ماكونهي. إن كل الشواهد تشير أن القصة تبدأ من منزل الجار الغامض القعيد، وزوجته المخيفة، لذلك، لقد اتخذت قرارها. سوف تتسلل إلى المنزل، لا تعلم لماذا ستفعل ذلك، هل من أجل التحدث مع آدم الذي تشعر بشكل ما أنه ضحية، أم لتحاول إنقاذ راين طالما أكد لها لويس أنه هناك! لا تعلم في الواقع!

أوقفت السيارة أمام حديقة منزلها ولمحت بطرف عينها لي لي في الجهة الأخرى من الحديقة، وهي تبدو مشغولة بقطف التفاح وقد تسلقت شجرة ما وجلست على جذع عريض للغاية. أخذت تفكر في طريقة للتسلل لداخل المنزل، دخلت منزلها وظلت تدور في حلقات حول الطاولة بتوتر وهي تفكر، نظرت من نافذتها لترى لي لي هناك في مكانها ما زالت تقطف التفاح وسلتها ليست ممتلئة،

هممم، إذن أمامها عشرون دقيقة على الأقل.

إن كل ما تحتاجه هو عشر دقائق فقط، وخمس دقائق لتعود من حيث أتت. حسنًا، خرجت من باب المطبخ الخلفي المطل على حديقة آل ماكونهي من الجهة الخلفية، نفس عميق ونظرت يمينًا ويسارًا حتى تتأكد أن لا أحد يراها، ثم فتحت باب الحديقة الخلفي ودخلت سريعًا، متجهة للنافذة الخلفية التي تلصصت على آدم من قبل.

أخذت تبحث عنها، رباه! هذا المنزل مليء بالنوافذ! لكنها تريد نفس النافذة، لديها اعتقاد راسخ أنها ستجد آدم في نفس المكان بجوار نفس النافذة.

ها هي.. نفس الأحجار الضخمة تتراص تحتها بنظام، وقفت على الأحجار ونظرت مجددًا حولها للتأكد أنها غير مراقبة، رفعت زجاج النافذة لأعلى ثم وضعت ركبتها، وقد بدأت تلهث من الانفعال، خطوة واحدة أخرى ثم حشرت جسدها النحيف بفتحة النافذة حشرًا، لقد صارت بالداخل بالفعل.

ها هي تقف بداخل منزل آل ماكونهي العتيق وحيدة، الأثاث مغلف بطبقة سميكة من الغبار، كأنه منزل مهجور لا يسكنه أحد على الإطلاق، الظلام بدأ يزحف بشدة داخل المنزل رغم أنه ما زال وقت الظهيرة، ربما لأن جميع النوافذ مغلقة بإحكام، كأن أصحاب المنزل غير مستعدين لاستقبال أي أحد حتى ضوء الشمس!

استجمعت قواها وخرج صوتها مرتعشًا لكن واضحًا:

- مستر آدم؟ هل أنت هنا؟

لم يجبها أحد، فأخذت تتجول بداخل البيت أكثر وهي تتحدث بنفس الصوت المتوتر:

- أنا سامنثا من المنزل المجاور، كنت فقط أريد أن أتحدث معك!

شعرت بحركة خفيفة خلفها فاستدارت مسرعة لكنها لم تجد شيئًا، جدار متهالك علق أحدهم عليه العديد من الصور الفوتغرافية القديمة، لم تتبين الأشخاص في الظلام، فعادت لطريقها فقط لتجد أمامها خيال أحدهم، رجل يجلس على كرسي متحرك، ارتفع الأدرينالين في دمها بشدة فأخذت تلهث وهي تقترب منه لتراه بشكل أفضل قائلة:

- مستر آدم، أنا لم أقصد إزعاجك و...

قاطعها صوت الرجل الذي خرج من فمه هامسًا:

- ارجوكِ أخرجيني من هنا!

نظرت له وهو يقترب منها بكرسيه المتحرك، فبدأت تظهر ملامحه، الشعر الأشقر الثائر الذي صار رماديًا، نحول بشع، تجاعيد مرعبة تشير لعمر قارب الخمسين، كأنما حفرت بسكين في جبهته، عيون غائرة لكنها استطاعت أن تميز الملامح المميزة. الملامح التي رأتها في الصورة التي تحملها على هاتفها المحمول!

إنه "راين"!

التمعت عيناه المذعورة في الظلام الدامس، واقترب منها بكرسه المتحرك قليلًا، فتقلصت أنفها اشمئزازًا، إن رائحته شنيعة، هذه رائحة جثة متعفنة، قاومت أن تفرغ معدتها بصعوبة وقالت له بصوت مرتجف وهي تتراجع للخلف:

-مستر راين؟ هل أنت بخير، أين آدم؟ هل هو من قام،،

قاطعها بصوت يختلط في نبرته الجنون بالذعر:

-لا آدم هنا، لا يوجد هنا غيري، لا أعلم كم انقضى من الوقت وأنا حبيس هذا المنزل الملعون.

-كيف !!! آدم،. آدم حفيد آل ماكونهي !

قاطعها بعصبية:

- لا وجود لآدم!

ثم نظر حوله وهو يفح قائلًا:

- إنه مجرد رمز أيتها الحمقاء، لا أحد يعلم ذلك لكن الحقيقة أنه لا وجود إلا لها هي في هذا المنزل ونحن الرجال، ضحاياها التي تحيا بامتصاص قوتنا، لقد كنا جميعًا نسكن المنزل المجاور في وقت ما مع زوجاتنا، لكنها كانت دائمًا هناك تتربص بنا..

- كيف؟ كيف بقيت أنت وذهب لويس للمصحة؟

غطى وجهه بذعر شديد قائلًا:

- لقد انتهت منه تمامًا، المسكين! أرسلته بعدما تأكدت أنه لن يتحدث مجددًا!

- لا أفهم، من... من هي؟!

برقت عيناه برعب وظل يردد بلا اقتناع وكأنه يهذي:

- أخرجيني من هنا أرجوكِ، لا تتركيني هنا لها مجددًا، لقد امتصت طاقتي، وصرت حبيس هذا المقعد اللعين لا أقوى على الحركة، لا تتركيني هناااا أرجوكِ، بضعة أيام أخرى معها وسوف تفرغ مني الحياة تمامًا أو ستلتهم لساني مثله.

ومد يده محاولًا أن يمسك طرف ثوبها لكن يده المتقرحة التي تساقط من معظمها اللحم كمرضى الجذام كانت ترتعش بقوة فلم يستطع أن يصل لها، فسقط أرضًا محدثًا دويًا عاليًا، تراجعت للوراء وهي تبكي بينما راين يجر جسده ويزحف نحوها زحفًا وهو ما زال يتوسل لها ألا تتركه هنا وحيدًا، هاتفها يرن بإلحاح بصوت عالٍ قادر على إيقاظ الموتى في أعماق الجحيم، تود أن تكتم الرنين لكن يدها ترتعش بشدة، أخطأت الزر عشرات المرات، وما زال هذا اللعين

يزحف نحوها مردنًا بجنون محموم:

- لا تتركيني أرجوكِ، إنها بالخارج الآن، هذه فرصتي الأخيرة.

لم تحتمل أكثر، فأخذت تركض وتحاول أن تصل لنفس النافذة التي دخلت منها، لكنها ظلت تتعثر في الظلام، لم تستسلم وكلما سقطت نهضت وواصلت الركض حتى وصلت أخيرًا لنفس النافذة، خيل إليها أنها استغرقت دهرًا لتصلها رغم أنها لم تبعد عنها سوى بضع خطوات معدودة، إن الزمن بطيء للغاية بداخل هذا المنزل.

حشر جسدها مرة أخرى، ووجدت نفسها تسقط خارج المنزل، نهضت بصعوبة واستمرت في الركض بينما الهاتف لا يقف عن الطنين، وصلت إلى باب المطبخ ودخلت وأغلقت بابه بالمزلاج خلفها وابتعدت عنه وهي لا تقوى أن تعطي ظهرها للباب. عادت للصالة الواسعة وهي ترتجف ووضعت الهاتف الذي لا يكف عن الرنين على الطاولة وفتحت مكبر الصوت، إنها آن:

Telegram:@mbooks90

- سام هل أنتِ بخير؟ لقد اتصلت بكِ أكثر من مرة! لماذا لا تجيبن هاتفك اللعين؟ أين أنتِ الآن؟

أشعلت سام سيجارة وأجابتها بصوت مرتجف:

- بالمنزل..

زفرت آن بقوة وقالت لها بسرعة:

- حمدًا لله، أغلقي باب منزلك جيدًا، لا تغادري المنزل أبدًا حتى يأتي الصباح، ولا تفتحي بابكِ لأي طارق مهما كان، هناك شيء شرير للغاية قد يكون يتربص بكِ الآن، وأنا أتحدث إليكِ، لا عجب أن هذا المنزل يحوي كل هذه الطاقة السيئة.

صمتت سام وهي تعلم ما ستقوله صديقتها، فأكملت آن حديثها:

- إن هذا الذي يستقر على جدار دارك لهو تعويذة قديمة يا عزيزتي! تعويذة لحماية أصحاب المنزل من شرور "ليلياث".. و "ليلياث" إن كنتِ لا تعلمين هي الشيطان ذاته!

جلست سام أرضًا وقد عجزت قدمها عن حملها، بينما أكملت آن بصوت يرتجف انفعالًا:

- ليلياث هي الأنثى الأولى قبل حواء، تلك التي تمردت على آدم وتركته فلعنت وصارت شيطانة. لقد بحثت أن أصل هذه الرسمة كثيرًا حتى توصلت لهذه القصة. على مر التاريخ تم ذكر اسمها كثيرًا في الأساطير، وارتبط اسمها بالشؤم والخراب ووفاة الأجنة في أرحام أمهاتهم. تقول الأساطير أن ليلياث التي تعيش في الغابات وبين الأشجار مع البوم وبنات آوى دائمًا ما تبحث عن الأزواج السعداء لتتسلل لبيوتهم في شكل حيوان أو طائر، تحتل أجساد النساء لتمتص حياتهن حتى يذبلن ويمُتن. لأنها على الرغم من كونها شيطانة إلا أنها لم تتخلص من غيرة الأنثى الأبدية، إنها لا تقبل وجود أنثى أخرى بالمنزل، ثم تقوم بإغواء الرجال وأحيانًا تأخذ شكل زوجاتهم حتى يثقوا بها وتستطيع أن تسيطر عليهم بسحرها ليكونوا أزواجها هي، إنها لا تقوى على العيش وحيدة، دائمًا هناك ذلك الذكر الذي تسيطر عليه وتسلبه قواه حتى يفقد كل طاقته ويشيخ ويموت فتبحث عن غيره وتعيد الكرة. كان الريفيون قديمًا يخشونها بشدة ويرسمون هذه التعويذة بدماء زوجاتهم حتى تحميهم منها.. و السؤال الذي جال بذهني ما الذي يأتي بمثل هذه التعويذة في منزلك؟ الإجابة كانت في آرثر مكونهي والرؤية التي رأيتها عنه، لا بد أنه كان يعلم بأمر الأسطورة وربط بينها وبين وجود هذه البومة التي فتنته وهو الأمر الذي لم يكن بريئًا أبدًا، فرسم التعويذة بدماء زوجته ليحميها ربما قبل فوات الأوان، نحن لا نعلم ما حدث لهم بعد ذلك لكن بقيت هذه التميمة على جدران المنزل لحماية الأجيال القادمة من ليلياث.

تساقطت دموع سام وقالت وهي ترى منزل آل مكونهي من النافذة ثم اتجهت

لغرفة الأطفال ووقفت أمام الحائط الذي قامت بدهانه قائلة:

- وماذا بعد؟

التقطت آن انفاسها وأكملت حديثها:

- إذا ربطتِ كل قصص الوفيات الغامضة والاختفاءات للسكان الذين كانوا يقطنون المنزل بعد آرثر ودارلا ستجدين أنها تنتهي بنهايات متقاربة للغاية، الزوجة التي تفقد جنينها والزوج الذي يختفي أو يفقد عقله. أنتِ رأيتِ افتتان آرثر بالبومة وفقدان دارلا لأطفالها، لا شك أن هذا ما كان يحدث لهم جميعًا، كيف والتميمة هناك؟ لا أعلم، لعلهم كانوا يقومون بتغطية التعويذة بشكل ما، أنتِ قلتِ أن الساكن الذي كان هناك قبلكما كان يغطيها بورق الحائط، ربما لم يكونوا يعلمون ما هي، أو يشمئزون من شكلها، غير عالمين الحمقى أنها تميمة حمايتهم. من ثم تموت الزوجة ويختفي الزوج ولا يعلم إلا الله إلى أين، حتى أتيت أنتِ وماثيو، أنتِ قمتِ بكشف الغطاء عن التعويذة، لعل هذا هو السبب الوحيد الذي يمنعها من الدخول إلى منزلك وأيضًا...

قطع حديثها أزيز مزعج من الهاتف، لقد فرغت بطاريته من الشحن. تساقطت دموع سام بغزارة وهي تتحسس الحائط بأناملها، تكاد تعض أناملها ندمًا على ما فعلته. لقد حذرتها دارلا مكونهي، لكنها غبية وأضاعت الوقت، يمكنها الآن أن تدخل بكل سهولة. لكنها استجمعت قواها ومسحت دموعها، ربما ما زال هناك وقت.

أخذت تمسح الغرفة بعينيها بحثًا عن شيء يصلح حتى وجدت ضالتها، قطعة زجاج حادة كانت قد أغفلتها وهي تنظف بقايا الزجاج المتناثر من النافذة المهشمة، التقطتها بتوتر وكشفت معصمها.

- لقد فات أوان المحاولات..

جاءها الصوت العميق من خلفها من ركن الغرفة المظلم، التمعت عينان كعيني

البومة وقد عكست ضوءًا مجهول المصدر، لم تستطع سام أن تتبين حدود الجسد الذي يتحدث في الظلام، لكنها عرفت أنها هي.. لي لي.. أو ليلياث.

جرحت سام ساعدها بقوة وأخذت تحاول أن تعيد رسم التعويذة مسرعة لكن الصوت عاد يتحدث بنفس الثبات:

- لن تفلح محاولاتك الحمقاء، إن لهذه التعويذة طقوس مختلفة.

أنهت سام رسم التعويذة والتفتت لترى الركن المظلم، لكنها وجدت العينين هناك يرمقانها، لا فائدة إذن!

تسارعت أنفاسها، وركضت إلى باب الغرفة لكنه أُغلق بقوة، ولم تستطع فتحه وشعرت بقوة خفية تجذبها لتسقط أرضًا تحت الجدار. التصقت بالجدار الموشوم وحاولت أن تغمشه بأظافرها وهي لا ترفع عينها عن هاتين العينين، ساعدها ينزف بغزارة، تكاد تفقد وعيها لكنها تتماسك، الصوت العميق القادم من أعماق الجحيم تحدث بهدوء:

- لقد فات أوان ما تفعلينه، أنتِ قمت بدعوتي لدخول المنزل بكامل إرادتك الحرة، وها أنا ألبي دعوتكِ، ربما تأخرتِ قليلًا، لم أستطع الدخول في البداية بسبب هذا.

وامتدت يد سوداء مخلبية من الظلام تشير إلى الحائط الذي تستند إليه سام:

- حتى قمتش أنتِ بتغطيتها، والآن...

تصاعد دخان أسود من بقعة الظلام بينما فح الصوت الجهنمي:

- أنا هنا..

تسارعت أنفاس سام وقالت بصوت راجف بينما يدها ما زالت تعبث في جرح معصمها:

- لي لي، أرجوكِ، أنا، لم، أنا لم أؤذيكِ

ضحكت بصوت أخنف قبيح وقالت:

- إننا اعداء، أنا وبنات جنسكِ، أنتِ لم تؤذيني لأنكِ غير قادرة على أذيتي، لكنكِ لن تترددي عن سحقي إذا استطعتِ.

بدأت بقعة الظلام تقترب من سام لتلتهم الغرفة بأكملها بينما الصوت يقترب وهي ما زالت تتحدث:

- أنا أحيا بدمائكِ، ما إن أمتص طاقتكِ أستعيد قوتي وهيئتي الشابة، ومن ثم يمكنني أن أتدبر أمر رجلكِ، إن الرجال دائمًا ما يسهل أمرهم و...

انتهت سام مما كانت تكتبه خلسة وراء ظهرها على الحائط وابتعدت حتى تكون واضحة، ساد الصمت وبدأت بقعة الظلام تنحصر، قل بريق العينين حتى انكمشت البقعة وصارت مجرد ظلال.

نهضت سام ونظرت إلى كلمة (سينوئي) الذي كتبتها بدمائها وإلى البقعة التي كانت بها ليلياث غير مصدقة، ثم أسرعت لباب الحجرة، حاولت فتحه، فاستجاب بمنتهى السهولة. أسرعت بالخروج من الغرفة وهي تبكي بحرقة..

لقد انتصرت! رباه لا تصدق!

يا لها من تجربة بشعة! ضربات قلبها متسارعة وغير مستقرة، لا تعلم كيف استطاعت أن تتذكر كتابة (سينوئي) مثلما وجدتها على جدران المشفى الذي كان به راين. لقد كانت تعلم أن هذه الكلمة قد تكون مفتاحًا آخر تركته لها دارلا لحمايتها من ليلياث. لكنها تعلم أنها يجب أن تكرر كتابة الكلمة على جميع الجدران لأنها ستعود، هي فقط تحتاج أن تجلس وتلتقط أنفاسها، إنها متعبة للغاية.

جلست أرضًا وقد عجزت قدماها عن حملها، تشعر بآلام شديدة في بطنها، إن

كل هذا المجهود لهو أقوى من جهازها العصبي، يا إلهي، إنها تنزف بغزارة!!

- لا لا، ليس الآن!

زحفت على بطنها تحاول أن تبحث عن الهاتف الآخر، تريد أن تتصل بالإسعاف، بـ آن، بأي أحد يمكنه أن يسعفها، إنها تفقد جنينها، لا، لن تتركها تنتصر عليها.. إنها بحاجة لمزيد من الوقت فقط حتى تستيطع أن تكتب الكلمة على باقي الجدران وتمنعها من الدخول و...

انطفأت الأنوار وانقطع التيار الكهربائي، زحفت سام أرضًا في الظلام يائسة وهي لا تدري أين تذهب. التفّت حول نفسها في وضع جنيني مثير للشفقة وهي لا تقوى على الحركة في الظلام، تسمع خدوش مخالب على الجدران المجاورة، وتلى ذل ضحكة خنفاء ساخرة.. إنها هنا!

***

دلف ماثيو مسرعًا إلى البيت، لقد استقل أول طائرة عائدة لادنبرة، بعدما اتصلت به آن عشرات المرات، وأقلقته كثيرًا بخصوصها، قالت له الكثير من الأشياء التي لم يفهمها، لكنه شعر أن سام في خطر خصوصًا أنها لا تجيب هاتفها.

- ما كان يجب أن أتركها وحيدة كل هذا الوقت

قالها في سره وهو يضع حقيبته مناديًا عليها:

- عزيزتي، لقد عدت! أين أنتِ؟

لكنه لم يتلقَ أي رد، مما زاد من قلقه.

- سااااام.. أين أنتِ؟

أخذ يبحث عنها في أرجاء المنزل، أدهشه أنها قامت بطلاء الجدران بالفعل،

لقد ظن أنها لن تفعلها حقًا، إن الأمر متعب للغاية، رائحة حساء شهي تتصاعد من المطبخ.

إذن، هي بخير! أين هي؟

ليست بالمطبخ، الكثير من ثمار التفاح، بعضه مقطع شرائح طازجة، وبعضه يتراص على سطح كعكة القرفة، خرج للحديقة من الباب الخلفي للمطبخ، ليست بحديقتهم أيضًا، بدأ يفقد أعصابه، ثم حانت منه التفاتة لحديقة آل ماكونهي.. هناك، في حديقة آل ماكونهي، وجد لي لي جارته الحسناء، ما زلت تجلس على جذع الشجرة العملاق، تقطف التفاح كعادتها، شعرها الأحمر المتموج يطير في الهواء. اقترب بهدوء حتى لا يزعجها وسألها:

- هاي، لي لي، مرحبًا.. هممممم، هل رأيتِ سام؟ لقد عدت من الـ...

قطع كلامه عندما استدارت له، فوجدها سام، تضحك بدلال. يا إلهي! لم يعرفها، ظنها لي لي، لقد غيرت لون شعرها للأحمر مثلما قالت له، حتى أنه ظنها لي لي!

- أووووه حبيبتي! هل، هل قمتِ بتغيير شعركِ؟! إنه رائع!

احتضنته فقبل رأسها، لقد كان يفتقدها للغاية، رائحة التوت البري تفوح من شعرها، مهلًا! لا يتذكر أن هذه كانت رائحتها!

- تبدين في غاية الجمال! أين كنتِ؟ لماذا لم تجيبي؟!

أمسكت بخلاص شعرها المتموج وقاطعته قائلة:

- لقد غيرت لونه مثلما قلت لك..

ابتسم ببلاهة وهو يتحسس خصلات شعرها وعاد يقول لها:

- هل أنتِ متأكدة أنكِ بخير؟ لقد اتصلت بـ آن، أخبرتني أشياء كثيرة لم أفهمها

وأيضًا...

وضعت أناملها على فمه مقاطعة همسًا:

- هل أنت جائع؟ لقد أعددت لك الحساء الذي تحبه وفطيرة التفاح.

تلعثم وأجابها:

- ها! لا بأس، أنا جائع بالفعل.

ومشى خلفها وهي تمسك يده، لا يعلم ماذا دهاه! يشعر أنه ليس على ما يرام، مشوش قليلًا، يريد أن يسألها عن أشياء كثيرة ويستفسر عما قالته له آن، لكنه لا يستطيع ترتيب أفكاره، ربما لاحقًا. أما الآن، فليحظى بطبق من الحساء الساخن، وينام في أحضان ملاكه الحارس، زوجته بارعة الجمال، لقد كانت رحلته شاقة للغاية.

عادوا إلى المنزل وجلس إلى الطاولة وهو لا يرفع نظره عنها، لقد اشتاق إليها كثيرًا، لم يرها بهذا الجمال من قبل! تصاعد البخار من طبقه عندما وضعت له الحساء لكنه لم يبالِ وأخذ ملعقته الأولى، بينما وقفت هي تستند إلى الموقد وتنظر له باهتمام.

- ألن تشاركيني الطعام؟

أجابته بهمهمة رافضة، حانت منه نظرة سريعة لها بطرف عينه، لجزء من الثانية شعر أن وجهها كان قبيحًا للغاية، أو ربما كانت تنظر له بمقت شديد. لا يستطيع أن يحدد، لكن المشهد كان كفيلًا بإفزاعه بشدة حتى أنه سقط من مقعده أرضًا، اقتربت منه بذعر لكنه ابتعد عنها.

- ماثيو! ماذا هناك؟!

تأمل ملامحها الجميلة ولم يجبها، لا شيء هناك، إنها زوجته البريئة.

- لقد.. لقد رأيت...

اقتربت منه ثم مسحت جبهته بيدها الدافئة، رائحة التوت البري تطير عقله.

- لا شيء عزيزتي، يبدو أنني متعب للغاية.

اقتربت منه واحتضنته قائلة بهدوء:

- لا بأس عزيزي، أعتقد أنك بحاجة إلى بعض النوم، أليس كذلك؟

هز رأسه موافقًا، لكنه لم يرَ ملامحها وهي تحتضنه، والتي انعكست في المرآة خلفه، و ربما كان من حسن حظه ألا يرى هذا المشهد.

***

- جلس الطبيب النفسي أمام الوافد الجديد للمصحة، يفحص علاماته الحيوية غير مصدق، الرجل مصاب بحالة متقدمة من الجذام، حتى أن عظام أصابعه اللامعة كانت تظهر!

وبينما فقد لسانه بطريقة غير مفهومة، يذكر في التقرير أن سائق سيارة وجده يزحف على الطريق السريع بحالٍ يرثى لها، فسارع بالاتصال بالشرطة، وعندما فحصوا حافظته وجدوا بطاقة نادي في الولايات المتحدة مدون فيه اسمه الثنائي فقط، اشمئز الطبيب وغادر الغرفة لمكتبه، نظر لملف المريض:

"ماثيو أندرسون، مهندس أمريكي".

أشعل سيجارة وسحب عدة أنفاس، وطلب من الممرضة أن تجهز غرفة العزل حتى يتم وضعه بها لحين إشعار آخر من السلطات.

**تمت.**

# القصة الثالثة

# قلب جديد

**"هذا رجل اشترك مع عشيقته بوضع خطة لقتل زوجته الثرية؛ ليرث أموالها الطائلة"**

**رنت الجملة بأذني وامتلأ عقلي بالهواجس والمخاوف.**

حسنًا، إن "مراد" يخونني!

لا مجال للشك، تسألونني وكيف استطعت أن أجزم؟ أقول لكم إن قلب الأنثى لا يكذب أبدًا، حتى وإن كان قلبًا مريضًا معتلًا مثل قلبي هذا، ربما تعطلت أوردته عن العمل بالشكل الصحيح، لكنه ما زال يشعر بتلك التغيرات التي طرأت على مراد في الأشهر القليلة الماضية.

أجلس في كرسي متحرك أمام نافذة المشفى أنتظر حضوره، لقد تأخر كثيرًا اليوم، يقولون إنه جاء صباحًا ليطمئن على صحتي وغادر الغرفة وأنا نائمة.

لم أتناول أدويتي ولا فطوري بالرغم من محايلة الممرضة الرقيقة لي، وإصراري على انتظاره. فأنا بالرغم من الشكوك التي تسيطر على عقلي، إلا أنني لا أثق بغيره ليعطيني جرعات الدواء ويشرف بنفسه على إفطاري. أتساءل عن سبب تأخره بقلق، أتراه قابلها على بوابة المشفى ووقف ليتبادل معها الحديث الباسم؟ أو ربما قبل دعوتها لتناول الإفطار في كافيتريا المشفى، ونسي المسكينة التي تمتنع عن الأكل حتى تراه.

كدت أجن من أفكاري، تأملت انعكاسي الشاحب في زجاج صورة زفافنا التي وضعها بجواري على الكومود. رباه! لقد تبدلت كثيرًا! كم اختلف شكلي وذبلت ملامحي بسبب المرض! صرت كالصبي المراهق وقد قصصت شعري على شكل "الاجرسون" لأنني لم أعد أقوى على الاعتناء به، برزت عظام وجهي وتضخمت أنفي بسبب فقداني المحموم للوزن.

لطمت الصورة فسقطت أرضًا ليتهشم زجاجها، وانحدرت الدموع ساخنة على وجناتي. لعنت مرضي ودفنت وجهي في قبضتي باكية.

***

يقول مراد أن عضلة قلبي ضعيفة بشدة وأنني بحاجة لعملية زراعة قلب حتى أستمر على قيد الحياة، لكنهم لا يجدون المتبرع المناسب. بالطبع مراد رقيق المشاعر لا يقول مثل هذا الوصف العلمي الدقيق أمامي، فهو بالرغم من كونه جراح قلب شهير، لكنه طالما كان هش كزهرة ياسمين رقيقة، لا يستطيع أن يصدم مرضاه بحقيقة مرضهم حتى لا تتأذى نفسيتهم. فما بالكم وأنا زوجته التي يهيم بها حبًا، إنه لا يقوى على مواجهتي بحقيقة مرضى، لكنني سمعته يتحدث مع أخي الباكي يومها. ذلك اليوم كنت في شركتي، أمارس يومي بشكل طبيعي

حينما داهمتني الأزمة القلبية. سرعان ما جاء بي الموظفون المذعورون إلى طوارئ المشفى بعدما سقطت مغشيًا علي.

- "ليلى" مصابة بضمور في عضلة القلب بما يستوجب علينا أن نجري لها عملية زراعة قلب.

- لكنها كانت متعايشة مع هذه المشكلة منذ ولادتها! ما الذي طرأ على حالتها؟

- لقد صمد قلبها لأكثر من تسعة وثلاثين عامًا، لكنه لم يعد قادرًا على الاستمرار أكثر من ذلك، وصار مجرد ضخ الدم لباقي أعضاء الجسم مجهود خرافي يفوق قدرته على الاحتمال، قد ينهار في أي لحظة، يجب أن تبقى هنا بالمشفى تحت الرعاية الفائقة حتى نجد لها متبرع.

- افعل شيئًا يا مراد، ألست أنتَ جراح القلب الأكثر شهرة! افعل شيئًا أرجوك.

دفن مراد وجهه في راحتيه وقال بصوت مختنق:

- هذه الأمور تأخذ الكثير من الوقت يا عمر، لقد تدخلت باتصالاتي وقمت بوضع اسمها في صدارة قائمة الانتظار، إننا بحاجة لمتبرع بقلب جديد من نفس فصيلة دمها ونفس حجمها وشروط أخرى كثيرة، مع العلم أن ليلي فصيلة دمها نادرة، صدقني ليس من السهل أبدًا أن نجد هذا المتبرع، إننا نبحث عن إبرة في كوم من القش.

ضغط عمر على حروفه قائلًا:

- مراد أنتَ تعلم جيدًا أن معي من الأموال ما يكفي لشراء لها إنسان كامل وليس قلبًا فقط.

- الأمر لا يتعلق بالأموال، فهذا عضو لا يتم التبرع به سوى في حالة وفاة المتبرع، لأنه ليس كلى ولا قرنية عين، إنه قلب، ووجود متبرع بقلب لهو أمر في غاية الصعوبة، أضف لذلك المواصفات الأخرى التي نبحث عنها من فصيلة دم

متطابقة، ستجد الأمر يحتاج إلى معجزة كما قلت لك سابقًا.

وها أنا حبيسة هذه الغرفة الفندقية التابعة للمشفى منذ ما يقرب من التسعة أشهر. في انتظار المتبرع المناسب!

في البداية لم يكن مراد يتركني مطلقًا وهو يعمل بالمشفى، فكان يأتي لي بين مواعيد كشوفاته، وكان قد نقل فراشًا إضافيًا إلى غرفتي حتى يغفو قليلًا في غرفتي بأوقات راحته، وحتى لا يفارقني ليلًا كذلك، وقد حاول أن يجعل جميع احتياجاتي وأشيائي المفضلة بالغرفة حتى لا أشتاق للمنزل بما أن الإقامة سوف تطول لوقت لا يعلمه إلا الله، الغرفة تحتوي على كمية كبيرة من الكتب، جهاز جرامافون قديم واسطوانات عبد الحليم حافظ وآل رحباني، نباتات الظل التي أحبها تملأ المكان فتكسر لون الحائط الأبيض الممل، وصورة زفافنا تحتل الجارور بجواري. كان وجوده الدائم يهون عليّ هذا السجن الأنيق. كثيرًا كنت أسمعه يتحدث في الهاتف بعصبية ويصيح مستنكرًا:

- كيف لا تستطيع أن تجد متبرع!! أليست أنتِ من كنتِ تأتين لي دائمًا بالمتبرعين مهما بلغت صعوبة الشروط؟ افعلِ شيئًا!

لكنه كان يستدير ليراني أراقبه، فيخفض صوته أو يغلق الخط ويعود لي مبتسمًا. إن مراد لهو زوج مثالي. حتى ظهرت هي منذ ثلاث أشهر وانقلبت الأحوال.

***

دخل مراد بهدوء لغرفتي ورأى الصورة المهشمة على الأرض، فانحنى ليلتقط الصورة من بين قطع الزجاج الحادة، وأعاد وضعها على الكومود بدون برواز، ثم جلس إلى جواري وقبّل رأسي قائلًا:

- لماذا لم تتناولي الإفطار؟

أجبته بعصبية شديدة:

- ولماذا تتركني وحيدة كل هذا الوقت؟

ابتسم بهدوء وحاول أن يضمني إليه قائلًا:

- لقد أردت أن أتركك لترتاحي وكنت أقوم بجولة في المشفى.

لكنني دفعته بعيدًا، فتراجع خطوتين للخلف ونظر لي في أسى، ثم انحنى ليلتقط الزجاج المهشم ويلقيه في سلة المهملات بصمت.

نهض بهدوء وتناول طبق الإفطار وقربه مني مبتسمًا بالرغم من تنمري، جلس على طرف الفراش وقشر لي بيضة مسلوقة، أخذتها من أنامله بعصبية وقضمتها. سألته وأنا ألتهم شريحة خيار ولا أنظر له:

- هل وجدت متبرعًا؟

تبدلت ملامحه وغمغم:

- ليس بعد لكنني اقتربت لا تقلقي، كل شيء سيكون على ما يرام.

ابتسمت قليلًا، فأنا ما زلت طفلة، قد أشتعل غضبًا في دقائق معدودة لكن مجرد رؤيته كفيلة بأن تجعلني أهدأ وأبتسم.

نهضت لدورة المياه؛ لأغسل يدي وأسناني. سمعت أحدهم يطرق باب الحجرة، لا شك أن مراد نهض ليفتح الباب، أحدهم يهمس، إذًا هذه ليست الممرضة التي تتحدث بصوت صاخب، ألصقت أذني بالباب، صوت أنثوي، لكنني لا أتبين الكلمات، لم أتبين سوى جملة واحدة:

- ثلاث نقاط في الأكل.

ثم سمعت صوت مراد الهامس:

- فقط ارحلي الآن.

حانت اللحظة وفتحت باب دورة المياه بعنف فوجدتها تقف إلى جواره تنظر إلى الملف الخاص بحالتي وتشير إلى شيء ما.

حسنًا، أحب أن أعرفكم بها، الدكتورة "إنجي"، مساعدة زوجي الجديدة، أنثى ثعبان كوبرا التي تلتف حول عنقه وتعتصرها بنعومة شديدة.

تلاقت أعيننا فابتسمت بتحدٍ مستتر وقالت:

- صباح الخير مدام ليلى.

هززت رأسي ولم أجبها، فقال مراد مفسرًا بحرج:

- عذرًا يا إنجي، ليلى اليوم لا تشعر أنها بخير.

أشارت بيدها بمعنى أنه لا مشكلة هناك، وقالت لمراد أنها سوف تنتظره في العيادة، وانصرفت وهي تبتسم لي.

انشغل مراد بفتح ستائر النوافذ حتى لا تلتقي عينانا ثم انصرف وتركني للحقد يأكل ما تبقى سليمًا بقلبي.

***

جلست في حديقة المشفى أحتسي قهوتي، الشمس مشرقة للغاية بما لا يتناسب مع الظلام المسيطر على أعماقي. رأيت النافذة القريبة، إنها نافذة عيادة مراد المظلمة، فهو انصرف مبكرًا ليلحق بميعاد غامض لم يخبرني عنه شيئًا كعادته مؤخرًا، واكتفى بترك رسالة أنه لن يتأخر كثيرًا وألا أتناول طعام العشاء دونه.

أعدت قراءة الورقة التي تركها لي بخطه الأنيق ثم هشمتها بين أناملي وألقيتها بعيدًا. أكاد أشتم رائحة السحلية الملطخة بمساحيق التجميل في هذا الميعاد الغامض. أعلم جيدًا أنها تعجبه كثيرًا، تفضحه نظراته، كلما رأيت ارتباكه الشديد

في حضورها، تأكدت من شكوكي،

وفي الواقع إنها مبهرة للغاية، شديدة الجمال، وطبيبة ماهرة كذلك، لقد حدثني سابقًا عن مدى براعتها في التعامل مع الجراحات الدقيقة.

لعله وجد تشابه بين اهتماماتهم، فكلاهما يعشق المبضع الطبي. لعله وجدها جميلة أكثر مما ينبغي، شابة أكثر مما ينبغي. وأثار شبابها وصحتها بداخله حلم الأبوة الدفين، فأنا لم أستطع أن أمنحه الأطفال بسبب مرضي العضال.

أتفهم تمامًا أسبابه المتعددة، إعجابه بها مبرر للغاية خصوصًا أنني لم أعد تلك الجميلة التي تزوجها منذ ما يقرب من التسعة أعوام. لكنه لماذا يصر أن يبقيني معه إذًا؟ لماذا لا يتركني ويذهب إليها؟ هل يشعر بالذنب تجاهي؟ أم يخشى على مظهره الاجتماعي؟ ربما لا يريد أن يظهر بمظهر الوغد الذي ترك زوجته المريضة وتزوج بأخرى أكثر جمالًا وصحة.

ثم ما هذا الذي كانت تقوله له همسًا بالأمس؟ "ثلاث نقاط في الأكل؟" دواء جديد سوف يضاف لقائمة الأدوية التي لا تنتهي؟

لا أعلم كم لبثت في الحديقة غارقة في أفكاري السوداء، تململت من الجلوس في الحديقة وقد غابت الشمس وبدأت أشعر بالبرد يزحف على فقرات عنقي، نهضت لأعود لغرفتي ببطء حتى لا أتسبب في تسارع دقات قلبي الكسيح.

قابلت الممرضة الرقيقة التي نسيت اسمها فقالت لي إنها وضعت لي الجريدة والعشاء على الطاولة في غرفتي، ابتسمت لها وشكرتها.

فتحت باب غرفتي، الغرفة مظلمة دافئة، أغلقت الباب خلفي واستعددت أن أدخل لدورة المياه لأغسل يدي، حين شعرت بحركة من خلفي، استدرت بعنف لأجدها.

- إنجي!

ماذا تفعل هذه الحية بداخل غرفتي؟ أليست من المفترض أن تكون مع مراد الآن في مكان ما يتآمرون على خيانتي؟

ابتسمت إنجي لتخفي ارتباكها التي استطعت أن أشتمه من مكاني هذا، وقد قالت شيئًا عن مراجعتها لملف الأدوية الخاصة بي، لأن مراد طلب إضافة بعض الفيتامينات. لكنني انشغلت بالنظر ليدها النحيفة التي كانت تتحرك حركة خفية دقيقة لتخبئ شيئًا ما بطرف ثوبها، شيئًا ما أزرق اللون!. اقتربت منها ونظرت لما كانت تقوله عن ذلك الدواء المكتوب في الورقة، بالطبع لم أفهم هذه الأسماء المعقدة.

جلست على طرف الفراش ودعوتها للجلوس لتتناول معي كوبًا من القهوة، نظرت لساعتها بتردد وقالت شيئًا عن ضرورة تناولي لطعام العشاء. فقلت لها:

- ربما بعد كوب القهوة؟

فكرت قليلا ثم حسمت أمرها وجلست بثقة على المقعد المواجه لي، أعددت القهوة بتوئدة وناولتها فنجانها وأنا أسالها:

- أراكِ الأكثر تطوعًا لورديات العمل ليلًا في المشفى؟

مطت شفتيها بعدم اكتراث وقالت:

- إن العمل لوقت متأخر في المشفى لهو بالتأكيد أفضل من البقاء وحيدة بالمنزل.

- لا أحد ينتظرك بالبيت؟

- إطلاقًا، أنا وحيدة كوحيد القرن المهدد بالانقراض، توفي والداي منذ زمن بعيد وكنت أنا طفلتهم الوحيدة، فظللت وحيدة منذ المرحلة الثانوية، فقط كانت هناك خالة ظلت تتفقد أحوالي من حين إلى آخر حتى نزحت للقاهرة لأدرس الطب، فانقطعت كل الصلات.

ابتلعت ريقي وقلت لها:

- يهتم مراد بوجودك كثيرًا.

رفعت حاجبها بذهول وأجابت بثقة:

- لأنني الأكثر براعة، لا أكثر ولا أقل، لا أحد يستطيع مساعدة دكتور مراد مثلما أفعل أنا.

دخل مراد للغرفة في هذه اللحظة وهو يحمل حقيبة بها بعض الأطعمة، تسمر لدى رؤية إنجي تجلس معي وعقد حاجبيه بتوتر وقال وهو يضع الحقيبة على المنضدة، كان يبدو مرهقًا للغاية:

- أهلًا إنجي؟ ماذا.. ماذا تفعلين هنا؟

- لقد كنت أتفقد ملف مدام ليلى، فقامت هي بدعوتي لفنجان من القهوة.

راقبت انفعالات وجهه الوسيم وقد رمقها بنظرات غير مفهومة ثم سرعان ما ابتسم وأخذ من يدي فنجان القهوة برفق قائلًا:

- لا قهوة ليلًا عزيزتي.

ضحكت إنجي قائلة:

- لقد نصحتها بضرورة تناول العشاء أولًا، لكنها أصرت ولم أرد أن ألعب دور الطبيبة السخيفة وأصر على رأيي فانصعت لرأيها.

رمقها مراد بنظرة ثاقبة ومرت دقائق من الصمت الثقيل ثم نهضت إنجي واستأذنت للرحيل بعد ما شكرتني على القهوة.

خرج مراد وراءها وأغلق الباب خلفه ثم عاد بعد أقل من دقيقة، وكنت أنا أتناول طبق الطعام لأبدأ في الأكل، فأسرع وجذب مني الطبق برفق ووضع أمامي حقيبة الطعام الذي ابتاعه قائلًا:

- لقد أحضرت لك الشاورما التي تحبينها حبيبتي.

وألقى محتوى الطبق في القمامة ودخل دورة المياه ليغسل يده، رأت انعكاسه في مرآة الحمام، انتهى من غسل يده ثم رأيته منهمك في تفريغ زجاجة ما في حوض الحمام، زجاجة دقيقة زرقاء اللون ثم أغلقها سريعًا ووضعها في جيبه. ماذا يفعل!

عاد إليّ ليواجه عيني المتسائلة بدهشة:

- لماذا ألقيت الطعام؟

قال باسمًا:

- أشعر أنكِ مللت من هذا الطعام عديم المذاق، سوف أجلب لك كل وجباتك من خارج المشفى من الآن وصاعدًا.

- لقد كنت تصر على طعام المشفى لأنه صحي!

- حقيقي، لكني أشعر أنكِ تفقدين شهيتك، فلا بأس من بعض التدليل.

و قبّل رأسي، لم أبتلع مبرره وكدت أن أسأله عن محتوى الزجاجة التي أفرغها، لكنني فضلت الصمت. تناولت شطيرتي بصمت وأنا أنظر له بينما هو يتحاشى نظراتي، ثم تناولت الجريدة التي تركتها لي الممرضة وأخذت أتصفحها حتى وصلت لمرادي، صفحة الحوادث التي أستمتع كثيرًا بقراءتها. انهمكت في القراءة، هذه الصفحة تعتبر نافذة على أسوء ما يعتمر بداخل النفس البشرية، فهذا أب اشترك مع زوجته الجديدة في تعذيب ابنته الصغيرة لأنها لا تنصاع لأوامر زوجته، وهذا رجل اشترك مع عشيقته على وضع خطة لقتل زوجته الثرية ليرث أموالها الطائلة.

أحب قراءة هذه الحوادث لأشعر أنني على ما يرام، أنا في فراشي آمنة وبعيدة عن كل هذا الهراء. لا أصدق أن أحدهم قد يبلغ منه الشر مبلغه ليقتل من أجل

هذه المبررات!

طويت الجريدة، هذه المرة أنا أشعر بمزيد من التوتر. أعتقد أن مثل هذه الأخبار لم تعد تلائمني، خصوصًا وأنا أواجه الكثير من المشاكل بالفعل.

حمدًا لله! إنها بعيدة كل البعد عن حياتي الهادئة. فلدي أخ ذو سلطة يحميني دائمًا، وزوج محب، ربما يمر بأزمة منتصف العمر التي تدفعه للتفكير بالطبيبات الشابات، لكنه على الأقل لن يقتلني.

سوف أغفو الليلة بهدوء، وربما أتحدث معه غدًا بشأن مشاعره تجاه أنثى العنكبوت تلك.

***

استيقظت على رنين هاتفي المحمول بإصرار مزعج، إنها الثامنة صباحًا! من قد يهتم بمهاتفتي الآن؟

- صباح الخير، مدام ليلى؟

- أنا هي.

- أعتذر إذا كنت قد أيقظتك، أنا من بنك...

- اه، لا مشكلة هناك، هل.. هل كل شيء على ما يرام؟

- نعم لا تقلقي سيدتي، البنك فقط يريد أن يتأكد من معرفتك بأمر المبلغ الذي قام السيد مراد حازم بسحبه من حسابكما البنكي المشترك، إن المبلغ ليس قليل كما تعلمين.

صمت قليلًا ثم استجمعت أفكاري وسألته:

- اه بالتأكيد، هل.. هل لي أن أعلم المبلغ؟

لم أتوقع المبلغ في الواقع، فعدت لصمتي بعدما أخبرني موظف البنك بالرقم،

وأغلقت الخط متوترة للغاية. لماذا يريد مراد هذا المبلغ الضخم؟ ولماذا لم يخبرني؟ إنها المرة الأولى التي يسحب فيها منذ زواجنا! لقد قمت بفتح هذا الحساب المشترك منذ شهرنا الأول في الزواج لعله يحتاج بعض الأموال لينشئ عيادته الخاصة، فقد كان حينها مجرد جراح قلب في بداية مشواره المهني، بينما ترك لي أبي هذه الأموال الطائلة، لكن يده لم تمتد إلى أموالي طوال فترة زواجنا، وهو الآن قد كون ثروة لا بأس بها من عمله ولا يحتاج لأموالي.

تملك الشك من قلبي وقررت أن أسأله ببساطة، نهضت ووضعت على جسدي المعطف الثقيل، فقد كان الجو قارص البرودة، لقد كشر يناير عن أنيابه بقسوة، اتجهت لمكتبه ببطء مستندة على الجدار، رباه! لم أعد قادرة حتى على المشي بضع خطوات! لحسن الحظ أن المكتب بالقرب من غرفتي.

طرقت الباب لاهثة، منتظرة صوته الحبيب يدعوني للدخول، لكنه لم يجبني، ففتحت الباب بهدوء، لا أحد هنا.

دخلت أجلس على مقعده المريح أمام مكتبه. التقطت أنفاسي بصعوبة وعبثت في جيب معطفي بحثا عن أقراص النيتروجلسرين ووضعت قرصًا تحت لساني وانتظرت أن تنتظم ضربات قلبي. مرت دقائق بطيئة حتى شعرت بتحسن طفيف.

تملكني الفضول فبدأت أعبث بمحتويات مكتب زوجي العزيز الغامض، ملفات المرضى ملقاة بإهمال على سطح المكتب، أوراق ممتلئة بتحاليل وإشاعات للعديد من المرضى، تلك المصطلحات الطبية التي لا أفقه منها شيئًا، ثم ملف لإنجي!

فتحته بدهشة لأجد العديد من نتائج التحاليل أيضًا! هممم، هل هي مصابة بما يستوجب أن يكون لها ملف عند مراد؟

أغلقت الملف وأعدته إلى مكانه. ثم فتحت الدرج الأول من المكتب، المزيد من

ملفات المرضى، بعض وصولات من جميعه خيرية ما، تقر باستلام بعض قطع الأثاث المنزلي كتبرع للجمعية، غرفة معيشة مكونة من مقعدين وأريكة زرقاء اللون، غرفة سفرة، مكتبة مكونة من 8 رفوف على شكل قوس، ما هذا؟! رباه! إنه أثاث منزلنا! هل يقوم بالتبرع به للجمعيات الخيرية؟ ما الذي ينوي فعله هذا الأبله؟

فتحت الدرج الثاني، لا شيء ذو قيمة مجرد أوراق أخرى لا أول لها من آخر.

الدرج الثالث، لا شيء أيضًا، مهلًا، هناك فاتورة بمبلغ ضخم للغاية، ويعتلي الفاتورة شعار شركة دولية لبيع الأجهزة الطبية. حسنًا، يبدو أنه استلم شحنة من الأجهزة الطبية بتاريخ الأمس "هذا هو الموعد الغامض إذًا". لكن عنوان الاستلام هو المنزل وليس عيادته ولا المشفى. لا أفهم شيئًا! هل يقوم بتحويل المنزل لعيادة أخرى؟

الدرج الأخير، كان ممتلئًا بالقمامة، زجاجات فارغة صغيرة لدواء ما لا أعلم ما هو، إنها زرقاء اللون، حسنًا إنها تلك التي كانت مع مراد بالأمس ولعلها التي كانت إنجي تخبئها بالأمس كذلك.

رباه! هل كانت تضع لي منها في طعامي عندما داهمتها بدخولي بغتة؟ هل هذه هي التي كانت توصى مراد بها قائلة: "ثلاث نقاط في الأكل"؟

حاولت أن أقرأ الاسم، لكنه كان مغقدًا للغاية فوجدتني أقوم بتصوير الزجاجة بهاتفي، أحتاج أن أعلم ما هذا؟

"هذا رجل اشترك مع عشيقته على وضع خطة لقتل زوجته الثرية ليرث أموالها الطائلة". رنت الجملة بأذني وامتلأ عقلي بالهواجس والمخاوف وقررت أن أتجاهل مواجهته بموضوع البنك. رباه، ماذا تفعل يا مراد؟

***

- أنا أريد أن أعود للمنزل يا مراد.

نظر إليّ مراد ووضع فنجان القهوة والتفت إليّ متسائلًا، فعدت أكرر على مسمعه ما قلته ولكن بلهجة عصبية:

- أريد أن أعود للمنزل اليوم، أنا لن أنتظر في هذا المكان اللعين أكثر من ذلك.

فنهض ووضع يده على كتفي قائلًا:

- اهدئي يا حبيبتي.

لكنني أبعدت يده بعصبية:

- توقف عما تفعله معي في كل مرة، أنا أريد أن أن أغادر حالًا، ولن يوقفني أحد عن قراري.

صمت وعقد ساعديه على صدره ثم قال لي:

- وحتى إذا قلت لك أنني وجدت المتبرع؟

اتسعت عيني انفعالًا وجلست بهدوء أمامه، فابتسم وحضن راحتي قائلًا:

- لقد وجدت القلب يا ليلى، ما هي إلا أيام معدودة وسنجري العملية، وسنغادر هذا المشفى الكئيب.

انهمرت دموعي لدى سماعي كلامه، فأنا لم أعد أطيق البقاء هنا لأكثر من دقيقة فما بالكم بعدة أيام، صارحته بأفكاري وأنا أبكي فقال بهدوء وهو ينظر لعيني مباشرة:

- بضعة أيام فقط أعدك، سينتهي هذا الكابوس للأبد.

لا أعلم لماذا شعرت بمشاعر متضاربة لدى سماعي هذه الجملة منه، فمن المفترض أنه يقصد بها أن يطمئن قلبي، لكنها في الواقع كان لها رنين مرعب على أذني.

أعترف أن غموضه وكل هذه الأشياء الغير مفسرة التي اكتشفتها، أفقدته ثقتي. لقد صرت أخشى زوجي العزيز للغاية، إنه يدبر شيئًا لا أعلمه. ما أدراني أنه لا يدبر لقتلي في هذه العملية ويلقي اللوم على الخطأ الطبي أو جسدي الضعيف الذي لن يحتمل؟!

لن يكذبه أحد ولن يبحث وراءه أحد، فالكل يعلم مدى سوء حالتي، لقد يأس الجميع من استمراري على قيد الحياة في الواقع، بما فيهم أخي الذي يودعني كل زيارة بنظرة أسى وهو يتوقع أنه قد يكون لقاءنا الأخير. لن يشك أحد في الزوج المخلص الذي أفنى عمره في البقاء بجوار زوجته المريضة حتى لحظاتها الأخيرة. لعله اتفق مع تلك الحقيرة على قتلي والاستمتاع بأموالي، لعله يقوم بسحب مبالغ طائلة من حسابي بدون علمي ويبيع أثاث منزلي حتى لا يزعجها عندما تذهب لتسكن مكاني!

رأيتها بعين الخيال تجلس بجوار مراد في حديقة منزلي وتقطف زهوري التي لطالما اعتنيت بها، وتضع زهرة منها وراء أذنها كفاتنات هاواي وهي تفتعل البراءة ويقبل مراد جبهتها مثلما اعتاد أن يقبل جبهتي. فتصاعد الدم لرأسي، حتى أن مراد لا بدو أنه لاحظ احمرار وجهي، فعقد حاجبيه قائلًا:

- هل أنتِ بخير حبيبتي؟

كتمت خواطري عنه وهززت رأسي بنعم، وأدرت وجهي للنافذة.

رباه أنا في مأزق!

***

- كنت أتجول بكرسي متحرك بين ممرات المشفى، فقد أردت أن أطرد التوتر وأنا أفكر في حل لوضعي المرعب. فلا أنا متأكدة من شكوكي بنسبة 100% حتى أقلب الطاولة على رأسهم جميعًا وأكشف مخططهم، ولا أنا واثقة فيه حتى

أتمدد على طاولة العمليات بأريحية وأترك جسدي تحت رحمته يفعل به ما يحلو له.

كنت غارقة في خواطري السوداء تلك حينما لاحظت ازدحام الحديقة الجانبية الخاصة باستراحة الاطباء. هناك مجموعة من الأطباء، يلتفون حول مائدة بها كعكة كبيرة عليها صورة إنجي. وهناك تقف إنجي مبتسمة في منتصف الجموع يبدو أنها صاحبة الاحتفال الصغير. رأيت مراد يقف أيضًا مبتسمًا وسط زملائهم، ابتسم عندما رآني واقترب مني ليقرب مقعدي من الحفل قائلًا:

- إنهم يقيمون حفل توديع لإنجي.

- توديع؟

- نعم، لقد استقالت من المشفى، وتستعد للسفر لكندا الأسبوع القادم.

عقدت حاجبي بعدم فهم، وعدت أساله:

- كندا؟ ماذا عن عملها؟

- الهجرة تنادى الجميع عزيزتي.

- وماذا سوف تفعل أنت؟ قلت أنها الأفضل علي الاطلاق؟

- بالتأكيد، لكنني سوف أجد أحدهم، لن تقف الحيا علي إنجي.

لا أعلم لم أشعر بالارتياح الذي ينبغي لي أن أشعر به؟. رسمت على ثغري بسمة مفتعلة وأنا أشارك في الحفل الصغير، تأملتها وهي تتحدث مع زملائها وتحتضن الزميلات، لا تلتفت لمراد نهائيًا. أشعر أنها تتعمد أن تتجاهله، مراد الذي يجلس بجواري مبتسمًا مراقبًا لكل هذا، نهض من مقعده وقدم لها هدية مغلفة بورق الهدايا المزخرف مثل باقي الأطباء، وانسحب بهدوء عائدًا لي ثم مال على أذني قائلًا:

- لقد سئمت كل هذا، سأرحل فلدي موعد مهم، هل تريدين البقاء، أم تريدين أن أوصلك لغرفتك؟

نظرت له بصمت محاولة أن أسبر أغواره لكنني فشلت كالمعتاد، فقلت له أن يوصلني لغرفتي.

أوقفتنا إنجي قائلة في ميوعة لزجة:

- سوف أفتقد العمل معك يا دكتور مراد.

فابتسم مراد وهز رأسه قائلًا:

- أتمنى لكِ التوفيق يا إنجي، أنتِ حقًا من أفضل من تعاملت معهم بداخل غرفة العمليات.

اتسع ثغرها كاشفًا عن صفين من الأسنان العاجية ونظرت لي قائلة:

- علمت أنكِ سوف تجرين جراحتك بعد غد، كم كنت أتمنى أن أكون هناك، لكنني أثق أن دكتور مراد سيبهرنا بنجاحه الباهر كالمعتاد، إنه قادر على أن يقوم بالعملية بدون أي مساعدة، حظًا سعيدًا مدام ليلى.

سحب مراد المقعد وأنا ما زلت أتأملها بغيظ، بينما ابتسامتها اللزجة لم تفارق وجهها وهي تلوح لي مودعة.

عدت إلى غرفتي، وغادر مراد ليلحق بموعده الغامض، جلست في الشرفة أتأمل النجوم، لسعة البرد تسبب لي رجفة، فقمت بضم الشال الصوفي على جسدي، الحديقة هادئة لا أحد هناك، الطقس البارد لا يسمح بالجلوس هناك ليلًا على الإطلاق، لكنني لمحت خيال إحداهن تمشي في توئدة، خيال مألوف، الشعر المموج الطويل يتطاير من الهواء، والثقة في الخطوات والقوام الممشوق.

إنها إنجي! تبينت ملامحها عندما دخلت في دائرة الضوء وجلست على مقعد ليس بالبعيد عن شرفتي، انحنيت قليلًا حتى لا تراني إذا ما نظرت نحو شرفتي.

أراها تحمل هدية مراد وتقوم بفتحها، هممم إنها قلادة، رفعتها لأعلى تتأملها ثم سارعت بارتدائها حول عنقها، والتقطت ورقة ما من داخل اللفافة، خطاب فيما يبدو. تقرأه ثم تحتضن الورقة! عادت تتأمل الورقة مجددًا وهشمتها بين أناملها وألقتها في سلة المهملات القريبة ثم نهضت وغادرت الحديقة.

وجدت نفسي أغادر حجرتي سريعًا متجهة نحو المقعد التي كانت تجلس عليه، توقفت أمام سلة المهملات ألتقط أنفاسي بصعوبة. حاولت أن أسيطر على دقات قلبي، فجلست على المقعد مكانها ثم مددت يدي لسلة المهملات، لحسن الحظ أنها كانت فارغة إلا من الورقة التي ألقتها تلك الحية. أخذت نفسًا عميق وفتحت الورقة المهشمة بيد ترتجف، خط مراد الأنيق:

"حبيبتي:

جميلة أنتِ كعهدي بك، تسلبين عقلي في كل مرة أراكِ فيها.

لم أتحدث إليكِ أمام الجميع كما اتفقنا حتى لا نلفت الأنظار إلى أن ننتهي من كل هذا الشقاء. كم كنت أطوق أن أضمك إليّ اليوم، لكنني تماسكت، عزائي الوحيد أننا سوف نجتمع معًا قريبًا جدًا. سأكون بانتظارك غدًا ليلًا في البيت لنحتفل. أتمنى أن تنال القلادة إعجابك وإن كانت لا تضاهي جمالك. لا تنسي أن تمزقي الخطاب مثلما اتفقنا.

مراد".

دار رأسي بما قرأت ولم أستطع أن أمسك دموعي التي انهمرت لا شعوريًا، لقد تأكدت الآن من شكوكي، التي لم تخمد لحظة، رغم محاولاتي بتكذيب قلبي. حتى عندما كان يتظاهر بعدم الاهتمام بها وتظاهرت هي بتجاهله، لم يستطيعا خداعي! لكنني الآن أمام الدليل القاطع والأسوأ، إنهما بالتأكيد يدبران لقتلي.

***

كاسحات السيول تصارع الأمطار الكثيفة التي تنهمر على زجاج سيارتي، قطعت الأميال التي تفصلني عن البيت بسرعة جنونية. وها أنا أقف أمام منزلي في الحى الهادئ بالتجمع الخامس. لقد وعدها أن يقابلها الليلة بمنزلي ليحتفلا، لكنني لن أتركهما ينعمان.

تحسست المعدن البارد لمسدسي، ذلك الذي أعطاني إياه أخي يومًا ما، ولم تأتِ الفرصة لأستخدمه، لقد حان وقته.

أرى سيارة مراد تقف هناك، أنوار البيت مطفأة إلا من نور غرفة النوم في الطابق العلوي، ترجلت من سيارتي وسط الأمطار الغزيرة، وأسرعت بفتح الباب. منزلي الحبيب الذي لم أره منذ ما يقرب من التسعة أشهر، لكنه تبدل كثيرًا، فأصبح خاليًا من الأثاث كمنزل مهجور.

منذ اللحظة الأولي أدركت أنها هنا، رائحة عطرها النفاذ تسمم الأجواء، تقدمت لداخل الصالة فاصطدمت قدمي بحذائها الملقى بإهمال، ثم معطفها على الأرض، زجاجة النبيذ الوردي الذي يحبه مراد هناك على طاولة وحيدة في ركن الصالة، سقط كأس فارغ على الأرض بينما ما زال الآخر ممتلئًا لم يمس، بجوارها بعض الشموع التي احترقت تمامًا.

والآن اصطدمت قدمي بملابسها! خلعت حذائي حتى لا يصدر دويًا عاليًا على الأرضية الخشبية، صعدت للطابق العلوي وأنا أرتجف، قادتني قدماي للحجرة الوحيدة المضاء نورها، الباب مغلق، تحسست المقبض البارد كالثلج بيدي اليسرى بينما يدي اليمنى تحمل المسدس الثقيل للغاية. كتمت أنفاسي وفتحت باب الحجرة.

كان مراد يقف عاري الجذع مديرًا ظهره لي، أمام ما يشبه طاولة العمليات وحولها العديد من الأجهزة الطبية، وهناك جسدًا عاريًا ملقى على الطاولة. انكب مراد على الجسد وانحنى ليفعل شيئًا ما ثم اعتدل ليفحص أحد الأجهزة. شهقت

عاليًا فانتفض بشدة لدى سماعه صوتي، والتفت لي بعنف.

في هذه اللحظة استطعت أن أرى بوضوح أكثر، الجسد النائم بسكون على الطاولة، إنها إنجي!!

رباه لقد تبدلت كثيرًا، شحب لونها فصارت بيضاء كالثلج، واتصل بجسدها مئات الخراطيم والوصلات المتصلة بالأجهزة الطبية، هناك فجوة عملاقة دامية تقع هناك عند صدرها.

قال مراد شيئًا ما من وراء قناعه الطبي الذي يرتديه لكنني لم أسمعه لأنني فقدت وعيي.

***

استعدت وعيي ببطء شديد، وكان مراد هناك إلى جواري، وكان هذا كفيل بأن يجن جنوني وأصرخ بوجهه وأركل ساقه بقدمي، لكنه احتضنني من ظهري وشل حركتي تمامًا حتى أكف عما أفعله هامسًا في أذني بعصبية:

- هدئي يا مجنونة، قلبك لن يحتمل كل هذه الانفعالات، اهدئي أرجوكِ وسأقص عليك كل شيء فقط اهدئي، اهدئي حبيبتي أنا لن أؤذيكِ، لقد فعلت ما فعلت من أجلك أقسم لكِ.

مرت لحظات من الانهيار، كدت فيها أن ألقى حتفي وقد تسارعت دقات قلبي بشدة، فهدأت قليلًا وتكومت أرضًا في ركن الغرفة في وضع جنيني، طلبت منه أن يبقى بعيدًا، فجلس على بعد ثلاثة أمتار من موضعي وبدأ يتحدث بهدوء قائلًا:

- لم أكف لحظة عن البحث عن متبرع طوال التسع أشهر الماضية، لكنني فشلت في العثور عليه. رغم أنني لم أترك مشفى إلا وراسلته، ولم أترك طبيبًا إلا وسألته، حتى تجار الأعضاء الغير شرعيين الذين تربطني بهم صلة لا بأس بها

تواصلت معهم، أنفقت الكثير من الأموال على كل هؤلاء اللصوص الذين كانوا يبتزون احتياجي ويرسلون لي أعضاء غير ملائمة مقابل مبالغ طائلة غير قابلة للاسترداد بالطبع، لن أبالغ إذا قلت لك أنني أنفقت معظم أموالي بحثًا عن القلب المرتقب، لكن جميع المحاولات باءت بالفشل، لقد كان عائق فصيلة الدم دائمًا ما يقف بيني وبين المتبرعين، فإذا وجدت المتبرع، وجدنا أنه يحمل فصيلة دم أخرى. حتى ظهرت إنجي.. في البداية لم أكن أبالي بما يحدث من حولي، فقط نال مني اليأس وأظلمت عيناي، لكنها كانت هناك تراقبني.

منذ اللحظة الأولى قرأت ما كان يدور بعقلها، إن إنجي يا عزيزتي ليست سوى حشرة وصولية تبحث عن الأموال أينما وجدت. ما لا تعرفينه عنها والذي عرفته أنا منها لاحقًا، أنها كانت متزوجة من طبيب أمراض نفسية مرموق للغاية، توفي على إثر مرضه، وورثت عنه ثروة هائلة. لقد كانت تراني كثيرًا في المشفى وأنا أسأل الأطباء المسئولين عن قائمة المتبرعين إذا كانوا قد وجدوا ضالتي، فسألت زملاءنا عني بفضول، وعلمت الكثير عن مأساتنا، وتطوع أحدهم بإخبارها كيف أنني أنتظر خبر وفاتك بيأس بعد ما انقطعت بي السبل، وأنني محظوظ للغاية لأنني سوف أرث الكثير من الأموال في حالة وفاتك. فسال لعابها واختمرت الخطة برأسها -هي التي لطالما بحثت عن الأزواج الأثرياء-، وبدأت تنسج خيوطها اللزجة لتوقع بي، وحاولت كثيرًا التحدث إلى لكنني كنت أصدها، إن آخر اهتماماتي النساء الأخريات كما تعلمين، وخاصة صائدة الثروات تلك. علمت أنها طلبت أن تكون مساعدتي الشخصية في العمليات وتم الموافقة على طلبها، وذلك -والحق يقال- لبراعتها بالجراحة. لكن كل محاولاتها الأخرى بلفت انتباهي قد باءت بالفشل ولم تكن لتنجح لولا معلومة واحدة قالتها جعلتني ألتفت لها وأقرر أن أتركها تنسج خيوطها العنكبوتية حول عنقي بمحض إرادتي. لقد أرادت يومًا أن تفتح بابًا للحديث معي خارج إطار العمل والحالات والمرضى، فتقدمت من مقعدي في الكافتيريا قائلة: "مساء الخير، هل تسمح لي بالجلوس؟" هززت رأسي وأشرت لها بهدوء فجلست أمامي، وقالت مبتسمة: "أعتذر عن إزعاجك،

لكنني علمت من الزملاء بأمر مدام ليلي وفصيلة دمها النادرة، لحسن الحظ أنني أملك نفس الفصيلة، فأردت أن أعلمك أنني متاحة للتبرع بالدم في أي وقت".
برقت عيني وأنا أنظر إليها، كانت المرة الأولى التي أتأملها بتمعن، فقد كانت من قبل مجرد لوح من الزجاج الشفاف. أرى من خلالها ولا أراها مطلقًا، اعتمر ذهني بالكثير من الأفكار السوداء، وتمالكني الحقد وأنا أحسدها على الصحة التي تبدو عليها بينما زوجتي الحبيبة تجلس مريضة بالداخل لا حول لها ولا قوة، تمنيت كثيرًا بحسرة لو تتبدل الظروف فتصاب هي باعتلال عضلة القلب بينما أجدك أنتِ أمامي تقفين سليمة معافاة. لكنني قررت أن أطرد الأفكار السلبية من رأسي وأكتفي بوضعها في قائمة الاحتياطي إذا ما احتاجنا لدماء، وطلبت منها إجراء بعض التحاليل والفحوصات اللازمة حتى إذا ما احتجتُ إليها في حالة طوارئ لا أضيع الوقت في إجراء الفحوصات وقتها. لكنها بالطبع لم تكف عن مطاردتي يومًا واحدًا، لقد كانت ذبابة لطيفة لا أكاد أذهب إلى أي مكان حتى تظهر لي، في العيادة، في المشفى، في حجرة العمليات، في النادي الذي اكتشفت فجأة أنها انضمت لعضويته حديثًا حتى تلتحق بتمرين السباحة الأسبوعي معي. ودائمًا هي لطيفة للغاية، تسألني عن أحوالي، وتربت على ظهري وهي تعطيني كوبًا من القهوة، وتلقي بعض الملحوظات عن حسن اختياري لألوان ملابسي وكيف أن الذقن الغير حليقة تبدو جميلة كثيرًا على ملامحي. يبدو أنها وجدت فيّ ضالتها وقررت ألا تستسلم أبدًا، فأنا كنت أبدو للجميع وقتها ضعيفًا ومذبذبًا، وهذا هو الصيد الحقيقي الذي تبحث عنه، رجل ثري حياته على وشك الانهيار؛ لهو بحاجة إلى أنثى أخرى في حياته بالتأكيد. لكنك يا عزيزتي كنتِ دائمًا، تحولين بينها وبين الوصول لهدفها. لذلك قررت أن تكون أكثر جراءة وتفصح عما يدور بخلدها بدون حسبان.

ابتلع ريقه ونهض ليصب لنفسها كأس من النبيذ الوردي وعاد لمجلسه ليكمل قصته:

- لقد جاءت لي ببساطة معترفة أنها متيمة بي. فقلت لها: "حسنًا عزيزتي أنتِ تعلمين أنني متزوج، وأحب ليلى كثيرًا". توقعت أن ردًا كهذا كان كافيًا ليردعها لكن هيهات، لقد فاجأتني بخططها الجهنمية قائلة وهي تقترب مني لتلمس كفي بكفها الدافئ: "إن ليلي لن تنجو يا مراد، كلنا نعلم أن الأمر هو مسألة وقت لا أكثر". هززت رأسي باستسلام ولم أجبها فقد كنت أعلم أنها محقة، فأكملت هي حديثها بثقة: "والأدهى أنها تتعذب كثيرًا، وربما تطول فترة عذابها". أخفيت وجهي في راحتي فربتت على شعري هامسة: "دعنا ننهي هذه المأساة الآن". رفعت رأسي ونظرت إليها بدهشة وعدم فهم، فتراجعت في مقعدها وقالت: "لا مجال لإضاعة المزيد من الوقت في الانتظار، المسكينة تتألم من مجرد المشي لبضع خطوات، وأنتَ فعلت كل ما بوسعك، لم تبخل عليها بالبحث عن متبرع لكنك لم تجده، لقد أنفقت أموالًا طائلة بلا جدوى". وقصت على قصة شديدة الغرابة:

"زوجها طبيب الأمراض النفسية الأكثر شهرة على الإطلاق كان يجترع من كأس سرطان الدم المرير، المسكين كان يعاني في أيامه الأخيرة ينتظر راحة الموت ولا ينالها، عندما طال انتظاره، قامت بمساعدته على التخلص من معاناته." قلت لها بعدم تصديق: "أنتِ تخلصتِ من زوجك!!" رفعت إصبعها أمام وجهي محذرة وقالت بهدوء: "ساعدته أن ينال راحة لطالما تمناها، هذا ما يسمى بالموت الرحيم، وهو مصرح به دوليًا في جميع بلاد أوروبا، من حق المريض أن يطالب بإنهاء حياته إذا كانت حالته حرجة ولا علاج لها". "وهل طلب هو منك ذلك؟". "لم يكن ليجرؤ على طلب ذلك رغم أنه كان يتمناه كثيرًا". "وتريدينني أن أفعل ذلك مع ليلى؟". "هل أنتَ سعيد بما يحدث لها الآن؟ هل تحب أن تراها وهي تتعذب؟". "لكنني لن أقتلها بالتأكيد!". ونهضت لأتركها تتأملني ببرود، لم أتحدث معها مجددًا في هذا الأمر وتجاهلتها لعدة أيام، لكنها سرعان ما عادت تلح على الأمر بكل إصرار، وكأنها تقنعني بشراء سيارة جديدة. كنت أحتقرها للغاية، وأتساءل عن جدوى تواجد مثل هذه الحشرة على قيد الحياة بينما سلبت

زوجها المسكين حياته بدماء باردة. والأدهى أنها تحرضني على قتلك! يا لها من وقحة!. حينها فقط التمعت الفكرة برأسي. هذه الحقيرة تمتلك شيء أغلى من الألماس، قلبها الذي أحتاج إليه من أجلك. إنها لا تستحقه ولا تستحق الحياة التي يمنحها إياها هذا القلب الثمين! حينها فقط انقلب السحر على الساحر وبدأت أضع خططي بهدوء، وعندما جاءت لتتحدث معي عنك مرة أخرى، تظاهرت أني وافقت على فكرتها بتردد، فتهللت أساريرها واحتضنتني غير مصدقة وأخذت تطمئنني أن الأمر أبسط مما أعتقد. وبدأت تعطيني تلك النقاط حتى أدسها لكِ في الطعام، تتسبب تلك القطرات في اضطراب حركة القلب، مما قد ينهى حياتك بعد فترة قصيرة، وتبدو أنها وفاة طبيعية لا تشوبها الشبهات. فكنت أسكبها واحتفظ بالزجاجات الفارغة في مكتبي الذي كانت تفتشه بعناية حتى تتأكد أنني لا أتلاعب بها وأنني ملتزم بالخطة التي سنتخلص بها من وجودك حتى نتزوج. أحيانًا كانت تتسلل لتدس لكِ القطرات بنفسها حتى لا أتخاذل أنا ويرق قلبي لكِ. لكنني حمدًا لله كنت دائمًا ما أتدخل في الوقت المناسب، ولذلك طلبت منك ألا تأكلي طعام المشفى مجددًا، لم أعد واثقا أنها لا تدس لك الدواء بدون علمي.

بللت شفتاي الجافة بطرف لساني وتحدثت للمرة الأولى منذ بدء حكايته:

- المبلغ.. المبلغ الذي سحبته من رصيدي، لماذا؟

صمت وأطرق رأسه ثم قال لي:

- لقد ضاعت أموالي بعدما أنفقتها على اتفاقات فاشلة لشراء القلب المناسب، لقد تعرضت لأكثر من عملية نصب من تجار الأعضاء وفشلت في استرداد الأموال. و أردت إمداد مادي لأستطيع تجهيز الغرفة التي رأيتها أنتِ، لأتمكن من إجراء العملية، إنها مطابقة لغرفة العمليات في المشفى.

- وهل تعتقد أن جريمتك سوف تمر بدون اكتشاف؟

ابتسم بأسى قائلًا:

- الجميع يعلم بسفر إنجي لكندا في خلال أيام، لقد خططت ورتبت كل شيء معي، أرادات أن تسافر لكندا لنعمل سويًا هناك بعد وفاتك التي اتفقنا أن تتم غدًا بعدما أضع لك جرعة زائدة من النقاط، فرتبت أوراقها لتسبقني إلى هناك وتنتظرني حتى أنتهي من مراسم الوفاة، وربما بضعة أشهر أتظاهر فيهم بالحزن ومن ثم أنقطع عن العمل وأقوم بإرسال استقالتي ثم ألحق بها إلى كندا، هذه كانت خطتها. أما خطتي أنا كانت تختلف قليلًا، خطتي لا يوجد لإنجي دورًا كبيرًا فيها، إنها مجرد متبرع بالقلب، لقد بادلتها مشاعر الحب المزيفة، ووافقت على خطتها بقتلك والسفر معها لكندا لنبدأ حياة جديدة بعدما أرث أموالك، وأخبرتها أننا علينا بتوخي الحذر وكتمان أمر علاقتنا عن الجميع حتى لا تحوم حولنا الشبهات بعد وفاة ليلى، ستقدمين أنتِ استقالتك وتسافرين لكندا قبلي، ولا بأس بقطع علاقتك بكل من يمت للمشفى بصلة، حتى لا يشك بأمرنا إذا علم أننا تزوجنا لاحقًا. وقمت أنا ببيع هذا المنزل والتخلص من قطع الأثاث أمامها لأقنعها بجدية قراراتي. اتفقت معها أن تأتي لي اليوم حتى نحتفل باقتراب نجاح خططنا، لحظات من المجون وقد انتشت تمامًا بعدما ارتفع الأدرينالين بدمائها فأخذت ترقص وتتمايل، ثم سقطت أرضًا بعدما غلبها خدر ساقيها وهي لا تفهم ماذا يحدث، لكن المخدر الذي وضعته لها في النبيذ كان أسرع من إدراكها. تسرب وعيها وهي تحاول أن تزحف لتخرج إلى باب المنزل وقد أدركت أن هناك شيئًا مريعًا سيحدث لها. إنها ستسافر بالفعل، لكن إلى العالم الآخر، أعتقد أن هناك الكثير من الحسابات التي تحتاج لتصفيتها مع زوجها الراحل.

قلت له وأنا أرتجف ذعرًا:

- لقد قتلتها يا مراد.

فأجابني بثورة:

- إنها قاتلة! لقد قتلت زوجها وأرادت قتلك كذلك! أي حياة تلك التي يجب أن تنعم بها هذه العنقاء.

اقترب مني بهدوء واحتضنني هامسًا:

- لقد استحقت ذلك حبيبتي، أرجوكِ لا تفكري في كل هذا، فكري فقط أننا نجونا! لقد صار معي القلب، وغدًا سأقوم بزراعته بداخلك، كل شيء سيكون على ما يرام، أعدك، أرجوكِ ثقي أنني أحبكِ كثيرًا.

ثم نظر إلى عينيّ وأخذ يجفف دموعي بيده قائلًا:

- سنغادر هذا المنزل اللعين، لقد قمت ببيعه واشتريت منزلًا آخرًا لنبدأ به حياة جديدة.

هززت رأسي واسترخيت بداخل حضنه الدافئ. أحضر لي بعض الأغطية وطلب مني أن أسترخي وأحاول النوم، وعاد لمريضته التي فرغت منها الحياة مثلما تفرغ البطاريات من الدمية.

لم أنم ليلتها وإن أغمضت عيني بشدة حتى لا أراه وهو يكمل مهامه. أراه بعين الخيال وهو يحمل جثمانها الدامي للحديقة ثم يحفر حفرة عميقة بصعوبة، يكاد أن تنزلق قدمه بسبب الأمطار التي لم تتوقف لحظة. قام بوضع جسدها بالحفرة ثم بدأ يهيل عليها التراب حتى تساوت الحفرة بالأرض المجاورة. لقد انتهى أمرها.

عاد إليّ في الصالة بعدما اغتسل وارتدي منامته الزرقاء التي أحبها كثيرًا، نام بجواري واحتضنني حتى صباح اليوم التالي.

***

إنه الربيع، فصلي المفضل . الشمس مشرقة وأشعتها الدافئة تبث السرور بقلبي. كنت أسقي الورود بحديقة منزلي، المنزل الجديد الذي ابتاعه مراد والذي

قضيت به شهور نقاهتي بعد العملية.

تصنف عملية زراعة القلب من أخطر العمليات الجراحية على الإطلاق، لكنها – يا للعجب- نجحت وامتثلت للشفاء بعد فترة نقاهة طويلة.

لم أقلل يومًا من قدر مراد وإتقانه لمجاله. وقد زادته عمليتي شهرة بسبب ارتباط صعوبة العملية بقصتنا، وكيف أنه لم يستسلم رغم صعوبة الحال وندرة المتبرعين.

رأيته يراقبني من خلف نافذة مكتبه مبتسمًا. لقد تغير مراد كثيرًا، إن الشهور التي قضيتها بالمشفى بين الحياة والموت جعلته يخاف كثيرًا أن يخسرني، لقد صار ممتنًا لوجودي، وأراد أن يعوضني عن أعوامًا من الإهمال والبرود العاطفي. عاد يهتم بي كطفلته الصغيرة، لا يرد لي طلبًا، وصار اهتمامه بي مبالغ فيه أحيانًا. حتى أنني تساءلت في أعماقي أكثر من مرة: "هل حقًا هذا الاهتمام نابع من حبه لي أم من مخاوفه تجاه أفكاري؟". لعله يشعر أنني لم أتقبل فعلته بعد، وأنني ما زلت أراه قاتلًا مهما كانت أسبابه ومبرراته.

في الواقع، لقد تناسى عقلي ما حدث تمامًا، إن هذه الحقيرة أرادت قتلي، لقد استحقت ما حدث لها. لم أتخيل مدى حب مراد لي، وندمت كثيرًا على شكوكي السابقة تجاهه. وبالرغم من ذلك، تضاربت مشاعري. أشعر أحيانًا أنني صرت شخصًا آخر، ذكرياتي ما قبل العملية تبدو لي ضبابية للغاية ولا أتذكرها جيدًا. تزورني أحلام غريبة عن أشخاص لا أعرفهم، وأرى مشاهد تبدو لي من حياة أخرى، لكنها كذلك تبدو لي منطقية للغاية وليست مجرد أضغاث أحلام، كأنني عشت هذه الذكريات بالفعل!

دعاني أحد هؤلاء الأشخاص الذين كنت أقابلهم في الحلم باسم إنجي في أحد الأحلام، فاستيقظت صارخة لأجد مراد بجواري يحاول أن يهدئ من روعي. لم أصارحه بحقيقة أحلامي التي تكررت كثيرًا. لكنني أيقنت مع الوقت أنني أرى

جزء من ذكريات إنجي!. قد يبدو هذا غير منطقي لكنه يحدث لي بالفعل.

صار نومي هو عبارة عن تفريغ لكاميرات تصور لقطات من حياة إنجي، حياتها مع زوجها السابق، عملها، أصدقائها، ثم علاقتها بمراد. وأحيانًا كانت أحلامي تتلخص في وجودي بمكان مظلم مكتوفة الأيدي لا أستطيع الحركة، وحمل ثقيل يجثم على صدري، حينما أفتح فمي لأصرخ ينهال التراب بداخل فمي، فأستيقظ صارخة لأجد مراد المذعور يرمقني بعين نصف نائمة ويقول شيئًا عن ضرورة الذهاب لطبيب نفسي.

أنهض غارقة في العرق البارد، أتجرع كوبا من الماء وأنا أتساءل

ما كان هذا؟! يبدو أنني كنت في قبر. أو لنكُن أكثر دقة، لقد كنت إنجي في قبرها بمنزلنا القديم.

يومها ظللت أرتجف في الفراش حتى الصباح. ما حدث كان غريبًا للغاية، لقد انتقلت مشاعر إنجي وذكرياتها إليّ مع انتقال قلبها.

احتار مراد في شرودي وصراخي الليلي الملازم للكوابيس، لكنه استسلم أمام رفضي لرؤية طبيب نفسي. إنه لا يفهم أن الأمر لا يحتاج لطبيب نفسي، إنها مجرد ذكريات انتقلت إلى بطريقة ما مع القلب الجديد. لكنها ذكريات كانت كفيلة بقلب كل شيء بحياتي رأسًا على عقب.

نظرت إليه وهو يلوح لي بيده من خلف النافذة، انهمك في كتابة شيئًا ما في دفتر يومياته الذي كان يمسكه، ثم ألصق الورقة في زجاج النافذة لأرى ما كان يكتبه لي.. "أحبك"، جاءت واضحة بخطه الكبير الأنيق فابتسمت له بهدوء وحركت شفتاي قائلة:

- وأنا أيضًا.

اتسعت ابتسامته إثر قراءته لحركة شفتاي لكنها سرعان ما اختفت إثر صوت

صفارة سيارة الشرطة. نظر إلى النافذة التي تطل على مدخل المنزل والتي تراصت بها ثلاث سيارات شرطة ثم عاد ينظر إليّ بنظرة صامتة خاوية من التعبيرات، لعله يراني غادرة حقيرة، أفشيت سره بدماء باردة، اعذرني يا مراد، إنه القلب الجديد الذي كان يحركني.

تمت

# القصة الرابعة

# إنه حقًا مقالٌ جيدٌ!

**"جالت كل هذه الأفكار بعقلي وأنا أتحسس بيدي مقبض العصا العاجية التي تتكئ عليها، والتي كانت مسنودة إلى الحائط بجواري.. إنها تستحق.. بالتأكيد تستحق".**

Telegram:@mbooks90

أنا أكره النساء !

قد لا يروق كلامي هذا لجمعيات حقوق المرأة، لكنني لا أبالي كثيرًا في الواقع. ولا أعتقد أن شخصًا مفلسًا ومهدد بالسجن مثلي قد يهتم برأي أعضاء الفيمينست اللعينات في مشاعره العنصرية على أي حال،

لقد كان يومًا مرهقًا للغاية، مزدحمًا بالأحداث المحبطة.

عدت إلى بيتي مرهقًا للغاية بعد أمسية طويلة مع "جين"، قضيتها بالكامل أستمع إلى حديثها السخيف عن غيرة الأصدقاء في العمل من علاقتنا وخاصة ميسز "أندرسون" مديرتنا الشمطاء، التي تكره أن ترى عصفوري الحب يتهامسان أحيانًا في الدقائق القليلة الفاصلة بين الاجتماع والآخر.

"جين" الحسناء خاوية العقل، كرأس موسوليني الأصلع الخالي من الشعر. لا تعلم أنني على وشك أن أفقد كل شيء بسبب مراهناتي الخاسرة دومًا، حتى منزلي الصغير الذي كانت تستعد لتنتقل وتشاركني العيش به بعد العطلة، قد فقدت ملكيته في لعبة قمار خاسرة، أي حقد تحدثني عنه هذه الحمقاء باعتباره أكبر مشاكلها!

توالت كؤوس النبيذ الأحمر على مائدتنا، ابتلعت أطنانًا من الخمرِ حتى أستطيع أن أحتمل كل هذه الثرثرة الفارغة، ثم عدت إلى داري فارغ المشاعر ومحبط من الأمسية المملة.

وجدت ظرفًا أو اثنين من أحد البنوك التي تتوعدني بالخراب إن لم أسدد ديوني. أشعلت حطب المدفأة ولم أنس أن ألقي بالخطابين في النار ليزيد من اشتعالها، وسقطت على فراشي منهكًا غارقًا في العرق البارد. ذكروني غدًا أن أقطع علاقتي بهذه الدجاجة الحمقاء المدعوة جين، ولا بأس بتحطيم عنق ميسز "أندرسون" العجوز كذلك، تسألوني وما دخلها؟ أليست هي من عكرت صفو أمسيتنا بالحديث عنها؟ ثم إنها أنثى وكفى؟

رباه كم أكره النساء! حفنة من الدجاج خاوي العقل، تتحكم فيهن هورموناتهن اللعينة فيتخذن أبشع القرارات على الإطلاق، يذرفن بعض الدموع التي يضعف أمامها المجتمع فيسامحهن عن طيب خاطر. ثم يتحدث النشطاء عن اضطهاد المجتمع للجنس الرقيق والعنصرية ضد المرأة! والأدهى أنهن سبب جميع المشكلات.

أليست "باندورا" الأنثى الأولى في الأساطير هي من فتحت صندوق زيوس لتنشر البؤس والتعاسة في العالم؟

أليست "إيف" هي من أقنعت "آدم" بالتهام التفاحة المحرمة؟

لا أعلم متى غفوت وأنا غارق في كل هذه الأفكار.

استيقظت صباحًا مرهقًا للغاية، نظرت إلى ساعتي، تبًا، إنها العاشرة صباحًا! لقد تأخرت ساعتين عن معاد استيقاظي، وعليّ أن أجد مبررًا مقنعًا لأندرسون الشمطاء عن كل هذا التأخير، وتعطل مراجعة مقالها الذي سوف يتصدر صحيفة الغد. ما كان لي أن أشرب كل هذا الخمر، ولا أقضي ليلتي مع جين الساذجة.

قدت سيارتي مسرعًا، رفعت عيني عن الطريقة لمدة ثانية واحدة لأكمل تصفيف شعري في المرآه العلوية للسيارة لكنها كانت كافية، كدت أن أدهس فيها فتاة تعبر الشارع مسرعة بكل غباء، ضغطت مكابح السيارة بكل قوتي حتى كادت قدمي أن تثقب السيارة لتصل للأرض.

توقفت السيارة أخيرًا. ترجلت منها لأتفحص الفتاة فقط لتنهال على رأسي بسيل من السباب، انصرفت مسرعًا وقد احمرت أذناي خجلًا. ها هي أنثى أخرى حمقاء، لقد كادت أن تودي بحياتها وتتسبب في قضاء الباقي من عمري بالسجن بتهورها هذا.

وصلت الشركة شاردًا فاستقبلتني جين ممتقعة الوجه وقالت لي في عصبية:

- تأخرت كثيرًا، لم تكف أندرسون عن السؤال عنك، وقال لها الجميع إنك في الأغلب لن تأتي.

قلت لها بتوتر وأنا أتمنى لو أطبق أناملي على عنقها الجميل هذا فتموت خنقًا:

- إحداهن تسببت في سهري وإفراطي في الشرب أمس، فلم أستطع أن أستيقظ في موعدي.

نظرت حولي، لا أحد في الشركة، أين ذهب الجميع؟ ألم تصر أندرسون على حضورنا جميعًا رغم موسم الأعياد لإنهاء مقالات العدد الأخير من الجريدة؟

- أين باقي الموظفين؟ ما بالهم جميعًا تراهم كانوا يقضون الأمسية في الحديث عن أندرسون أيضًا فلم يستطيعوا الاستيقاظ؟

- ظريف للغاية، لقد أنهوا عملهم فصرفتهم ميسز أندرسون جميعًا، اليوم أمسية عيد الميلاد؟ هل تذكر؟

- صحيح، لا أشعر أننا في الكريسماس مع إصرار هذه الأندرسون على قدومنا للعمل!

- حسنًا لقد أنهيت عملي أنا أيضًا، سوف أعود للبيت الآن حتى أنتهي من إعداد الحقائب، حاول أن تنهي عملك معها سريعًا وتلحق بي حتى نلحق بطائرتنا.

- كدت أن أنسى سفرنا للعطلة!

رمقتني بنظرة لوم ثم قبلتني وانصرفت. وخلى المكتب إلا مني أنا وأندرسون.

وأندرسون -كما لا بد وأنك تخيلت شكلها- هي عجوز متأنقة في السبعين من عمرها، رئيسة تحرير جريدتنا متواضعة الشهرة، لكنني أحب أن أضيف على هذه الصورة التي زينت مخيلتك بأنها كأنثى العنكبوت، تلك الحشرة الحقيرة التي تمتص أحشاء الذكر حتى يموت. لقد كانت هذه الأندرسون عنكبوتًا عملاقًا حقًا، باردة ومتحذلقة، تدعي الفضيلة وإن كانت أبعد ما تكون عنها، تختار الصحفي الشاب ذو الموهبة المشتعلة وتمتص منه الموهبة امتصاصًا، تنتقي مقالاته ذات العناوين الرنانة بعناية، وتنهال عليه بالوعود البراقة وإغراءات الترقيات ورفع الراتب، ثم لا تخجل أن تنشر مقالاته باسمها وتستحوذ هي على كل النجاح! تكتفي بأن تلقي له بحفنة من الدولارات ولا بأس من بعض كلمات الثناء على مجهوده أمام الصحفيين الآخرين، حتى يفقد الشاب لمعة عيناه تدريجيًا

وتموت موهبته، فثلقي به إلى الشارع وتنصب شباكها حول فريسة أخرى مليئة بالطموح. وقد كنت أنا ذبابتها في هذا الوقت، الفريسة العالقة في شباك الديون، الجاهزة لاستنزاف ما في جعبتها من أفكار مقابل أن تقص شباك الديون اللزجة .

طرقت باب مكتبها وانتظرت حتى جاءني صوتها الأخنف يسمح لي بالدخول، فدلفت إلى المكتب راسمًا ابتسامة مزيفة وألقيت عليها تحية ما، فرفعت عينيها لترمقني في اشمئزاز غير مبرر.

تجاهلت تحيتي بالطبع وتساءلت بسخرية عن طبيعية عملي في الشركة التي تسمح لي أن أحضر بعد مواعيد العمل الرسمية بثلاث ساعات كاملة، فهل أنا مدير الجريدة وهي لا تعلم؟ وذكرت أن تأخيري تسبب في تأخر مراجعة مقالتها التي يجب أن تذهب للمطبعة، وبالتالي تسبب في تأخر عودتها لمنزلها هي شخصيًا! وأخذت تتحدث بفخر عن التزامها بمواعيد العمل حين كانت في مثل منصبي منذ 25 عامًا وأطالت الحديث كثيرًا في الواقع. تململت ونظرت لساعتي، ألن ينتهي هذا السخف!. ثم رتبت أوراق الملف أمامها وأعطته لي قائلة:

-أتمنى ألا يتكرر هذا، ولسوف أكتفي بخصم التأخير فقط هذه المرة، هاك هو تقريري، راجعه بعناية وعدل الأخطاء وأضف بعض من عبارتك الجمالية الملتوية تلك، يحبها القارئ كثيرًا، تظهر قوة لغتي وتمكني من الألفاظ، أمامك عشرين دقيقة فقط.

نظرت لها نظرة نارية، تكتفي بالخصم!! يا لها من وقحة!! وهل هناك ما هو أقسى من الخصم؟ لقد نفذت بالفعل أقصى العقوبات، فهي تعرف جيدًا أنني في أمس الحاجة للمال بل والأدهى أنها تطلب مني إعادة كتابة مقالها السخيف بعد ما قامت بالخصم من راتبي!!. تمالكت أعصابي وقلت لها بصوت حاولت أن يبدو هادئًا:

- لا يمكنك الخصم سيدتي، اليوم عطلة رسمية، إنها الأعياد كما تعلمين.

- هذا لا يسري على القطاع الخاص كما تعلم، كما أنني يمكنني أن أفعل أي شيء يتبادر إلى ذهني أيضًا أنا صاحبة الجريدة إذا لم تخنني الذاكرة.

تنهدت وأنا أعلم صحة كلامها، وقلت لها بهدوء وانا أخفض بصري:

- أعتذر لك ميسز أندرسون، يمكنك أن تخصمي تأخيري من تأخيراتي المسموحة لي شهريًا.

- لقد استنفدت رصيدك من التأخيرات.

- فلتحتسبي اليوم عطلة، مرضية إذن؟!

نظرت لي بتحدٍ وقالت بهدوء:

- لكنني أراك سليمًا معافى في الواقع.

- أنتِ تعرفين ميسز أندرسون أن راتبي لا يحتمل الخصم، لقد سبق وتقدمت بطلب سلفة من مرتبي القادم أنتِ رفضتيها بدون أسباب واضحة، إن مشاكلي المادية مع البنك قد...

قاطعتني طرقة عنيفة من كفها للمكتب أمامها وقالت بعصبية:

- لا شأن لي بحياتك الخاصة المليئة بمشاكل القمار وإدمان الخمور والعلاقات المشبوهة مع زميلات العمل، أرجو أن تحافظ على المساحة الرسمية بيننا وألا تحاول استعطافي بالحديث الذي لا جدوى منه، أنا لن أغير قراري، ويجب أن تعلم يا هذا أنك تسير في طريق سوف يودي بمستقبلك قريبًا، هذه الجريدة لا تحب الموظفين سيئ السمعة ولا المتخاذلين، لقد بدأت تستنفذ أفكارك اللامعة التي كانت سبب بقاءك هنا حتى هذه اللحظة، إنك في مأزق حقيقي.

عادت لهدوئها قائلة:

- يمكنك أن تعود إلى مكتبك الآن.

وتشاغلت بملف أمامها وتجاهلتني عمدًا، تصاعد الدم إلى رأسي فهمست بصوت أردته أن يكون مسموع:

- عاهرة!

رفعت عيناها بغضب:

- ماذا قلت؟

- أنتِ سمعتِ ما قلته وإلا إذًا كان قد أصابك الصمم، فلا أعتقد إن المومياوات اللاتي في مثل سنك تسمع جيدًا كما تعرفين.

عدلت من وضع منظارها بتحدي وقالت:

- أتمنى أن تتحلى بنفس هذا الشجاعة وأنتَ تمثل للتحقيق أمام مستر إريك بعد انتهاء موسم الإجازات هذا، أنتَ مفصول مستر "جيفري" ومحول للتحقيق كذلك، لأنني لا أنوي أن أعطيك مستحقاتك المالية، استعد، فأمامك فترة عصيبة في السجون بعدما يتم طردك كالصرصور وتفقد راتبك، وترفض الجرائد الأخرى توظيفك بعدما أقوم أنا بفصلك.

تلاقت أعيننا في تحدٍ واضح، لحظة من الغضب مرت كعقد كامل كاد المكتب أن يحترق بها من نفوسنا المشتعلة، ثم تجاهلتني مرة أخرى وعادت نظر للأوراق.

تبًا!! لم أكن أتوقع رد فعلها العنيف هذا، لقد راهنت على حاجتها لمقالاتي وموهبتي، لكنني كعادتي مقامر سيء، لقد خسرت هذا الرهان أيضًا، لم أكن أتوقع هذا أبدًا، لعلها في طريقها لتخدير ذبابة جديدة بوعودها المعسولة وتريد أن تخلي الشبكة للضحية الجديدة، هذا هو التفسير الوحيد.

أظلمت عيناي وشعرت بتنميل في قدمي اليسرى. تبًا!! لقد أنهت أعوامًا من تعبي وإرهاقي وانحنائي على المكتب ليلًا لإنهاء مقالتها الرديئة لأنال

رضاها ووعودها الزائفة بالترقية، في ثانية واحدة! و بدماء باردة!! جالت كل هذه الافكار بعقلي وأنا أتحسس بيدي مقبض العصا العاجية التي تتكئ عليها أندرسون والتي كانت مُسندة إلى الحائط بجواري. الشمطاء تريد أن تدمر مستقبل شابًا لامعًا مثلي بغرورها، بينما هي من يجب أن تكون في القبر حاليًا، حسنًا سوف أعيد المسار الطبيعي للقدر.

نظرت لي بنظرة دهشة ثم تحولت الدهشة لنظرة رعب ثم قالت شيئًا ما لم أتبينه، لأنني كنت قد رفعت يدي حاملًا العصا وهويت بها، إنها تستحق، بالتأكيد تستحق.

***

جلست في سيارتي ألتقط أنفاسي، وأتأمل العصا المبتلة في المرآة العلوية، تستند إلى المقعد الخلفي، لقد غسلتها جيدًا من الدماء التي لوثتها، أدرت محرك السيارة وابتعدت، أريد أن أفكر جيدًا بعيدًا عن هذا الشارع المشئوم، نظرت حولي، لا أحد هناك، الشارع الهادئ خالٍ تمامًا، إنه موسم الأعياد وقد سافر الجميع. غابت الشمس تمامًا، نظرت لساعة السيارة، إنها الثامنة مساءً. لقد استغرق مني الأمر مجهودًا رهيبًا لأستعيد رباطة جأشي وأرتب أفكاري وخطتي. ابتعدت بهدوء وأنا أفكر.

حسنًا، لقد رتبت الأمر جيدًا، ولن يتم اكتشاف أمري أبدًا، لا أحد يعلم بقدومي اليوم إلى المكتب غير جين، لقد اعتقد الجميع أنني مستهتر كالعادة ومتغيب عن العمل، أندرسون أرملة تعيش وحيدة بلا أبناء، ولا أقارب لها، ربما لها أخ ما يعيش في أوهايو منذ سنين طويلة ولا يتواصل معها، لا أحد سيشعر باختفائها قبل انتهاء أسبوع العطلات، لقد أنهيت مراجعة المقال سريعًا ووضعته وسط أوراقها وعبثت في محتويات المكتب بعدما أخذت أموالها والقرط الماسي الذي ترتديه؛ ليبدو الأمر كسرقة، مجرد سرقة عادية أودت بحياة مديرة الجريدة العجوز.

لقد كنت أرتدي قفازي طوال الوقت بسبب برودة الطقس لكنني لم أنسَ كذلك أن أمسح مقابض الأبواب كإجراء احترازي، فهكذا رأيتهم يفعلون جميعًا في أفلام ستيفين كينج.

شعرت بوخزة قوية في قلبي، بالطبع، إن كل هذه الانفعالات لا تناسب عضلة قلبي المنهكة من التدخين. صمت لوهلة ثم عدت أفكر مجددًا، لحسن حظي أن أندرسون البخيلة لم تكن تهتم باستخدام كاميرات المراقبة في مقر الجريدة، لا يعرف أمثالها أهمية كاميرات المراقبة. "بالطبع لم تكن الكاميرات قد اخترعت بعد في عصر الفراعنة التي أتت منه هذه الشمطاء". قلتها لنفسي وضحكت مجلجلًا على أفكاري حتى شعرت بألم في قلبي من جديد. رباااه، كم أكره النساء! لقد استحقت هذه الغبية جزاءها، لم تحب أحدًا قط ولا يحبها أحد، لن يخسر العالم كثيرًا بفقد هذه المأفونة. وسأعود لجين ونسافر لنقضي عطلتنا في نيويورك وكأن شيئًا لم يكن. ثم نعود مع الجميع لمقر الجريدة بعد العطلة لنجد مديرتنا الحبيبة جثة هامدة كريهة الرائحة وقد تعفنت، سنصرخ فزعًا ونبكي كثيرًا مع الآخرين حزنًا على فقدها.

عدت أضحك بهستيرية مرة أخرى وحيدًا في السيارة وأنا أقود سيارتي باتجاه النهر، أردت أن أتخلص من الأموال والقرط الذي سرقتهما والعصا كذلك. توقفت بجانب الطريق عند النهر، مددت يدي للمقعد المجاور وأخذت الأموال والقرط لأضعهم في جيبي، ما هذا!، سقط أحد القرطين من يدي ليختبئ تحت المقعد. ترجلت من السيارة وجثوت على ركبتي بحثًا عنه، إنه دقيق للغاية، لا أراه. أضأت كشاف هاتفي الخلوي لأرى بشكل أفضل، خيل لي أنني أرى العصا تتحرك من مكانها بهدوء، تسمرت في مكاني، أغمضت عيني وفتحتهما لأرى أفضل، نعم، لا خطأ هاهنا، أحدهما يسحب العصا ليقربها لجسده، جسده؟! أو جسدها إذا أردنا الدقة.

الآن أرى الأقدام بوضوح، أقدام أنثوية ترتدي حذاء أنيق للغاية، تجلس في

المقعد الخلفي. تهز قدمها بعصبية وتضع العصا بين قدميها،

فقدت قدرتي على النطق، وشلت حركتي تمامًا، العرق البارد يتساقط من جبيني فيحرق عيني، وألم غامر يعتصر كتفي الأيسر ويزحف بقوة إلى قلبي.

لمحت الباب الخلفي بجوار هذه الأقدام يفتح، وترجل هذا الشيء من السيارة، أدرت رأسي لأرى الأقدام من وراء باب السيارة تغرس في الأرض الطينية وتتحرك ببطء، إنها تقف خلفي الآن!! الألم يعتصر قلبي اعتصارًا، ثم سمعت صوتها الأخنف يتحدث:

- ما الأمر يا جيفري، هل فقدت قرطي الماسي؟

رباه إنه صوت ميسز أندرسون! لا، هذا ليس حقيقيًا، إنني أتخيل كل هذا، لقد.. لقد قتلتها.. لقد هشمت رأسها تهشيمًا. قلبي يئن، إهدأ يا أحمق، سوف تتسبب بمقتل نفسك، لا أستطيع النهوض، ولا أجرؤ على الالتفاف لمواجهة هذا الشيء. الصوت مازال يفح قائلًا:

- هذا القرط يهمني أمره كثيرًا، فلتجده لي أرجوك.

لا بد أنني أتخيل كل هذا، إن كل هذا مستحيل منطقيًا. قلبي تسارعت دقاته لدرجة مرعبة، لا أستطيع السيطرة على انفعالاته، أشعر بها تقترب برأسها المهشم لتصير على بعد سنتميترات من رأسي، حتى إنني شعرت بأنفاسها الحارة تلسعني وصوتها يزداد وحشية قائلة:

- ظننت أنك ستنجو بفعلتك؟

أصابعها الباردة امتدت لتقبض على كتفي بقوة، كان هذا أقوى من قدرة قلبي الواهن على التحمل، أظلمت عيني تدريجيًا وأشعر ببرودة تغمرني، آخر مشهد أذكره، يد رفيعة باردة ملوثة بالدماء تأخذ الأموال والقرط من قبضتي بهدوء، يا إلهي كم أكره النساء!

لكنني لست في حال تسمح لي أن أعبر عن مشاعر المقت الآن وأنا احتضر .

الأموات لا يجدون متسعًا من الوقت لوصف مشاعرهم في لحظات الاحتضار. أليس كذلك؟

مصرع مديرة تحرير جريدة (...) الشهيرة تشير بأصابع الاتهام لقتيل آخر من نفس المؤسسة

***

جريدة نيويورك تايميز

صفحة حوادث الولايات:

2-1-2018

"استيقظ سكان المدينة الهادئة على خبر وفاتين غامضتين هزت أوساط الصحف.

بدأ الأمر عندما أبلغت صديقة الصحفي (ب.ج) باختفاء الأخير لمدة تزيد عن الأربعة والعشرون ساعة، وهما كانا قد اتفقا على السفر لنيويورك لقضاء العطلة، فقامت القوات بتمشيط منطقة منزله وعمله حتى عثر عليه صريعًا في وضع غريب متكئ على ركبتيه بجوار سيارته وسط أوحال ضفتي نهر ونستون على مسافة صغيرة من مقر عمله. وبالمعاينة المبدئية للجثة أثبتت التحقيقات وفاة الجاني إثر أزمة قلبية حادة. كان الأمر يبدو في غاية الغموض، ما الذي يدفع الصحفي الشاب للذهاب إلى هذا المكان الهادئ في حين أنه على موعد مع صديقته للسفر؟

ويبدو من وضع الجثة الجاثي على ركبتيه إنه كان يحاول أن يجد شيئًا ما حين داهمته النوبة القلبية. ووجد فريق البحث جزءًا من قرط ماسي ملقى أسفل المقعد، يبدو أن هذا ما كان يبحث عنه الشاب. وباستجواب السيدة (ج) صديقة

الجاني قالت أنها تركته في مقر الجريدة لينهي بعض الأعمال مع مديرته. وعندما انتقال فريق البحث والمحققين إلى منزل مديرة القتيل لم يجدوها، فانتقلوا إلى مقر الجريدة، حيث كان بانتظارهم مفاجأة أخرى من العيار الثقيل.

لقد وجدوا السيدة (أ) جثة هامدة في مكتبها مهشمة الرأس تمامًا. فيما يبدو أن أحدهم ضرب رأسها بعصاها العاجية التي وجدت بجوارها، لكن لماذا؟

أشارت أصابع الاتهام بقوة للصحفي الذي وجد صريعًا عند النهر خصوصًا أن التحقيقات أثبتت أنه مديون بالكثير من الأموال للبنوك ومعظم أصدقائه، كما أن قرط السيدة الذي وجد في سيارته يؤكد شكوك المحققين. لكن تظل التساؤلات قائمة، إذا كان ينوي قتل مديرته بهدف السرقة فلماذا لم يأخذ سوى قرط واحد فقط؟ بينما كان القرط الآخر يتدلى من أذن السيدة، وكذلك وجد فريق البحث مبلغ كبير من المال في حقيبتها وقد كان ظاهرًا للعين، فلماذا لم يستولى على أموالها كذلك؟

أما الشيء الأغرب والذي زاد من حيرة المحققين. آثار الأوحال التي وجدت تلوث حذاء القتيلة، والتي تتشابه مع أوحال المنطقة التي وجدت فيها جثة الصحفي. كيف التصقت هذه الأوحال بقدم القتيلة إذا كانت لم تذهب إلى هناك؟

غموض كبير يحيط بقصة مصرع السيدة المرموقة والصحفي الشاب، وما زال البحث مستمرًا".

***

أغلقت السيدة أندرسون الجريدة وقالت لي بفخر:

- جميل جميل، إنه حقًا مقال جيد، لا بأس بهذا أبدًا، ما اسم هذا الصحفي الذي كتب المقال؟، هممم، لا أعرفه للأسف، لو كنت سمعت به من قبل لكنت عينته في الجريدة.

ثم نظرت لي مبتسمة بخبث:

- أيها الوغد، لقد نلت قسطًا وافرًا من الشهرة حين اقترنت وفاتك الغامضة بوفاتي الأكثر غموضًا، شهرة عارمة لم تكن تحلم بنصفها حتى.

نظرت لها بغل وأنا أتكئ على منضدة المشرحة وأنظر لجثتي الشاحبة الخالية من الدماء وكدت أرد ردًا لاذعًا، لكنها سرعان ما تبخر طيفها وترك طيفي وحيدًا في هذا المكان شديد البرودة.

رباه كم أكره النساء! وخاصةً الأشباح منهن.

ألا توافقني الرأي؟

**تمت**

Telegram:@mbooks90